مشاهير عبر التاريخ

إيروين رومل

Erwin Rommel

تأليف

خالد أحمد خالد



إيروين

روميل

الناشر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية

العنوان: ١٢ ش الدقي – منزل كوبري الدقي – اتجاه الجامعة – الجيزة – مصر

تليفون: ٠٠٢/٠٢/٧٦٢٢٨٣٠ – ٠٠٢/٠٢/٧٦٢٢٨٣١ – ٠٠٢/٠٢/٧٦٢٢٨٣٢ – ٠٠٢/٠٢/٧٤٨٠٧٢٩ – ٠٠٢/٠٢/٧٤٩١٣٨٨

فاكس: ٠٠٢/٠٢/٣٣٨٢٠٧٤

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية.

أحمد، خالد

إيروين رومل / خالد أحمد خالد؛ –ط ٠١– الجيزة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٦

٨٨ ص، ١٧ × ٢٤ سم.

تدمك X-٣٩٢-٤٠٨-٩٧٧

١– القادة العسكريون

ديوي ٩٢٣,٥٥

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٢١٤٢١

تدمك X-٣٩٢-٤٠٨-٩٧٧

العنوان الإلكتروني:
www.daralfarouk.com.eg

الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٧

إيروين

رومل

تأليف

خالد أحمد خالد

مقدمة

إن المتتبع للتاريخ الإنساني يجد – على الدوام – أشخاصًا يصنعون الأحداث ويدور في فلكهم كل ما يجرى حولهم أو يقترب منهم من أشخاص وحوادث. ونجد في المقابل أشخاصًا تصنعهم الأحداث فإذا حدثت حروب ونزاعات أو كوارث ومجاعات، تظهر معادن الرجال فنرى الذهب اللامع أو الحديد الصلب، كما نرى المعادن الخسيسة والذهب المغشوش.

أما رجال النوع الأول فهم الذين يصنعون ما حولهم ويحركون أمواج الحياة بهدوء حينًا، وباضطراب وأمواج متلاطمة حينا آخر.

وليس من أمة من الأمم إلا وفيها أمثلة من هؤلاء الرجال – صناع التاريخ والأحداث – على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم وأفكارهم، وسواء اتفقنا معهم أو اختلفنا في حقيقة أشخاصهم أو مع ما فعلوه في حياتهم فإنه يبقى هؤلاء الأشخاص على الدوام مثار إعجاب حينًا، ومثار غضب حينًا، ومثار تعجب حينًا آخر، والفيلد مارشال إيروين رومل يعد – بلا شك – أحد هؤلاء الرجال الذين تفاعلوا مع الأحداث فأظهرت الأحداث إمكاناتهم ومعدنهم الحقيقي، كما أنه من جانب آخر من تلك النوعية التي نستطيع أن نقول مطمئنين إنه كان ممَّن يصنعون التاريخ لا ممن يصنعهم التاريخ؛ شأنه شأن قليل من القادة العسكريين المتميزين في تاريخ الإنسانية.

الفصل الأول

ولادة الدب الأبيض

القادة العسكريّون يستحقون الرثاء أكثر مما نتصور، العالم كله يتصدر للحكم على أعمالهم من غير أن يستمع إلى أقوالهم، والصحافة قلّما تذكرهم، وربما لا يفهم واحد من الآلاف الذين يحكمون عليهم أبسط معاني القيادة حتى لأصغر الوحدات.

فريدريك الكبير

ملك بروسيا

الفصل الأول
ولادة الدب الأبيض

في أواخر القرن التاسع عشر، تقدَّم معلم الرياضيات المشهور جـون يـوجين رومل إلى رئيس حكومة إقليم رونتبرج ليخطب إليه ابنته؛ فلم يتردد رئيس الحكومة في قبول الطلب، ولم يمضِ وقت طويل حتى تزوج المعلم المشهور بـ"هيلينا" الجميلة سليلة الأسر العريقة ...

وهناك في هايد نهايم - تلك القرية الصغيرة الوادعة رائعة الطبيعة - عاشت الأسرة في أحضان تلك الطبيعة الساحرة. ومرت السنوات، وأنجب الزوجان خمسة من الأبناء، كان أوسطهم إيروين رومل، الذي كان ثالث إخوته. جاء إيروين رومل إلى الدنيا في عام ١٨٩١م، وكان كثير الشبه بأمه؛ فلم يكن طويل القامة، وكان أشقر الشعر شديد البياض، كما كان شديد الوداعة، قليل الكلام، هادئ الطباع، ولقد أطلق عليه أهله لقب "الدب الأبيض".

عاش إيروين رومل وإخوته في أحضان هذه الطبيعة الجميلة في سعادة غامرة، يقوم برحلات عدة إلى الغابات المحيطة التي يمر بها نهر الدانوب. أخذ رومل من الطبيعة حوله الكثير من الصفات، كما أخذت الجينات الوراثية في عملها لتكسب ذلك المولود الكثير من الذكاء الطبيعي الموروث، كيف لا وأبوه وجده من قبله من جهابذة علوم الرياضيات؟! والأعجب أن تلك المقاطعة نفسها هي التي وُلد فيها عالم الرياضيات الأشهر أينشتاين، الذي يُعَد من أفذاذ العالم عبر التاريخ وأشهر علماء القرن العشرين.

ومثل والده وجدِّه، تميز رومل بفكره الرياضي المتَّقد، والقدرة العالية على التحليل الرياضي المنطقي والمنهجي المتدرج، الذي يتميز به أصحاب العقول الرياضية.

وإلى جانب ذلك فقد سعى رومل لبناء جسمه وتقويته؛ فكان يذهب في رحـــلات متعددة يمارس فيها رياضته المحببة إلى نفسه، وهي ركـــوب الـــدراجات صـــيفًا والتزلج على الجليد شتاءً. كما اشتغل فكره بصناعة الطائرات التي كانـــت هـــوس العالم في ذلك الوقت؛ ففي العقد الأول من القرن العشرين اجتاحت العـــالم فكـــرة الطيران، فأصبح المئات حول العالم يسعون بجد لصناعة الطائرات الآلية، وكـــان رومل أحد هؤلاء.

رومل في سلك العسكرية

شأن الأسر الراقية في بداية القرن العشرين بل وقبل ذلك بكثير، التحق رومل بالكلية الحربية سنة ١٩١١م. وكما هو شأن العسكرية الألمانية التـــي تتميز بالصرامة والانضباط والالتزام، كان رومل مثـــالاً للطالـــب الملتـــزم المنضبط؛ فتخرج بتفوق في يناير سنة ١٩١٢م برتبة ملازم. بعـــد تخرجـــه أصبح مدربًا لقوات المشاة، فعمل بجد واجتهاد في تـــدريب الجنـــود. وكـــان بصرامته وجديته المعهودة مثالاً للضباط الألمان الملتزمين، فأصبح من أنجح المدربين بقوات الجيش الألماني، وساعدته صفاته الشخصية المتميـــزة علـــى تميُّزه بين الضباط الألمان؛ فكـــان - علـــى عكـــس الكثيـــرين - لا يتنـــاول المشروبات الكحولية ولا يدخن، هذا إلى جانب تميزه بشخصية قوية تؤثر في كلِّ المحيطين به.

رصاصة غيرت وجه التاريخ – الحرب العالمية الأولى

كانت الإمبراطورية النمساوية تسيطر على أجزاء واسعة مـــن وســـط أوربـــا، وتحتوي على أجناس مختلفة وأعراف متنافرة ذات لغات متنوعة تُباعد أكثر ممـــا تقرب، وتُنفر أكثر مما تُوحد.

وكانت البداية حينما توجَّه الأرشيدوق فرديناند ولي عهد عرش اتحاد النمسا والمجر إلى مدينة سراييفو عاصمة البوسنة لحضور الاحتفالات الوطنية.

كان ذلك في الثامن والعشرين من يونية سنة ١٩١٤م، واستعدت المدينة وتزيَّنت للضيف الكبير، واستعد الجميع لاستقباله. لكن كان هناك رأي آخر وطريقة أخرى للترحيب بولي العهد، وذلك هو رأي منظمة وطنية تدعو إلى استقلال البوسنة من الاحتلال النمسوي، وكان البعض يعتبرها منظمة إرهابية. كانت هذه المنظمة تسمَّى "عصابة اليد السوداء" التي اتخذت من صربيا المجاورة مقرًّا لها.

وفي صباح ذلك اليوم كان الأرشيدوق وزوجته يستقلان سيارتهما الملكية وسط شوارع سراييفو، وقد اصطف على جانبي الطريق الآلاف من سكان المدينة ليلقوا نظرة إلى ولي العهد وزوجته. كان الإرهابيون قد أعدوا عدتهم لقتل الأرشيدوق، ووضعوا العديد من الخطط البديلة؛ للعمل بها في حالة فشل إحدى هذه الخطط.

وحينما مرَّت العربة الملكية أمام الإرهابي الأول واسمه "كبر بنوفيك"، أخرج من معطفه قنبلة يدوية، وألقاها على مركبة الأمير لكنها أخطأتها وأصيب آخرون وقبضت الشرطة على الإرهابي.

لم يتأثر الأرشيدوق بما حصل، ولكنَّ الأمن أصر على تغيير الطريق، وبينما الموكب الملكي يغيِّر طريقه، كان هناك إرهابي آخر اسمه "جفريلوبرنسيب" ينتظر على الطريق ذاته، وقد أمسك مسدسه واستعد. توقفت العربة الملكية إلى جواره، فأخرج مسدسه وأطلق رصاصتين كانت الأولى من نصيب الأرشيدوق والأخرى من نصيب زوجته، فقُتل الاثنان على الفور. قبضت الشرطة على الإرهابي الشاب وأُودع السجن.

كانت الرصاصة التي أطلقها برنسيب هي الرصاصة التي غيَّرت وجــه أوربـــا والعالم فيما بعد. اتخذت النمسا مقتل الأرشيدوق ذريعة لغزو صربيا، وقامت روسيا على الفور باحتلال أجزاء من صربيا، وجرَّ كلٌّ حليف حليفه إلى ساحة المعركـــة؛ ونزلت ألمانيا وفرنسا وبريطانيا إلى حلبة الصراع، لتدور في خلال شهر واحد أول حرب عالمية يشهدها التاريخ.

رومل في ساحة المعركة

اندلعت نار الحرب العالمية الأولى، واندفعت القوات الألمانية صـــوب فرنـــسا. تحركت الكتيبة ١٢٤ مدفعية ميدان إلى جبهة القتال، وكان الضابط الشاب رومـــل أحد قادة فصائل هذه الكتيبة، ويتولى مهمة الاستطلاع. وبالقرب من لونجوي قـــاد رومل رجال دوريته، واقتربوا من بعض المزارع التي يتخلَّلها طريق يقـــود إلـــى المدن القريبة. ورغم إصابته بحالة من حالات التسمم، وعدم نومه لحوالي اليومين المتواصلين، استمر رومل في مهمته تحت جنح الظلام. لكن كانـــت هنـــاك قـــوة فرنسية تعسكر بالقرب من الطريق، شاهدت المجموعة التي يقودها رومل، فصبَّت نيران أسلحتها على المجموعة في حركة مباغتة. لم يصب رومل بالذعر من هول المفاجأة، فأعمل تفكيره بسرعة؛ فقسم فصيلته إلى قسمين، ثم تقدم مع ثلاثـــة مـــن الجنود لاستطلاع الطريق، واستغل الضباب المتساقط وسار بين المـــزارع، لكنـــه فوجئ بقوة من عشرين رجلاً. أسرع رومل ومرافقـــوه بـــإطلاق النيـــران علـــى المجموعة فتشتتت، وأمر رومل جنود الفصيلة بإحراق كلِّ شيء يمرُّون عليه. وتم له ما أراد، واحتل القرى المجاورة.

وبالقرب من "فارين" أصيب رومل بجرح في فخذه، ولشجاعته في القتال فقد حصل على وسام الصليب الحديدي من الدرجة الثانية. وبعد شفائه أصبح الاعتماد عليه أكثر في المهمات الصعبة التي تتطلب الجرأة وحسن التصرف والمهارة؛ فما لبث أن حصل على وسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولى في يناير سنة ١٩١٥م.

نُقل رومل إلى النمسا للتدريب على حروب الجبال بالأسلحة الخفيفة ونظام حرب العصابات المباغت، كما استمرَّ رومل في تدريباته لما يقرب من العام، ثم نُقل مع مجموعات المتدرِّبين إلى الجبهة الرومانية ..

قسم رومل رجاله إلى أربع فصائل، ونظمهم تنظيمًا جيدًا، وسار بهم بطريقة عجيبة؛ ليست على طريقة الجيوش النظامية التي تثير الجلبة والغبار أثناء مشيها، بل جعل جنوده يسيرون فرادى كأنهم قافلة من الجمال، يسير كل جندي خلف زميله في رتل طويل ممتد رفيع كالثعبان الذي يتهادى بين الحشائش. كان رومل يسير بين كتيبتين من مشاة الحرب التابعة لدولة رومانيا يفصل بينهما ما يزيد على المائة متر بقليل، ولم تكتشف قوات رومانيا تحركات رومل؛ فمثل تلك التحركات لم تكن لتخطر بذهن أي عسكري من رومانيا، وهذا ما ساعد رومل على تحركاته حتى وصل إلى مبتغاه فوصل إلى قمة جبل كوزنا، واحتل جميع النقاط الحصينة مما أدهش أعداءه قبل قادة جيشه أنفسهم، وكان ذلك في شهر أغسطس سنة ١٩١٧م.

وفي ديسمبر من العام نفسه، أصدر قائد الجبهة إلى رومل أمرًا بالتوجُّه نحو قرية "جيجستي". كانت القرية محاطة بعدد من نقاط الحراسة، وكانت درجة الحرارة قد وصلت إلى ما يقرب من خمس عشرة درجة تحت الصفر مع هبوب الرياح وهطول الجليد.

زحف رومل وجنوده على الجليد مستغلين هبوط الظلام، وظل رومل وجنـــوده ممددين على الجليد حتى اطمأن رومل – الثعلب الماكر – أن فرائسه قـــد تغافلـــت عن الحراسة واستسلمت لسلطان النوم؛ فاقترب من نقاط الحراسة، ثم صب جنوده نيران أسلحتهم الآلية على نقاط الحراسة في حركة مباغتة. كانت خـــسائر أعدائـــه عالية؛ فلم يجدوا غير الاستسلام سبيلاً للنجاة، واستولى رومل على القرية والطرق المحيطة بها دون خسائر تُذكر بين جنوده.

استمر رومل في عمله، واستمرت شهرته وكفاءته تنتشر بين الضباط والجنود، واستمر قادته في إسناد الأعمال الصعبة إليه وإلى ومجموعته، فاستطاع في أقل من ثلاثة أيام – قضاها دون نوم أو راحة – أن يستولي على إحدى أهم النقاط الحصينة للقوّات الإيطالية وهي جبل "ماتاجور" وذلك في أكتوبر سنة ١٩١٧م؛ فقـــد لحقـــت المجموعة الجبلية التي يترأّسها رومل بفيلق الألـــب الألمـــاني وقائـــده الجنـــرال سبروزر. طلب سبروزر من رومل ومجموعته حماية الجنـــاح الأيمـــن للكتيبـــة الألمانية الموكل إليها شن الهجوم العاصف على الجيش الإيطالي.

لكن رومل يغير خطط الهجوم، ويغير مهامَّه من حماية القوات المهاجمة إلـــى تولي الهجوم بنفسه مستغلاً ظلام الليل ليقوم بأسرع هجوم خلال الحرب العالميـــة الأولى، فيتمكن من أسر الآلاف من الجنود الإيطاليين والاستيلاء على العديد مـــن سيارات الدعم والتموين والذخيرة. وقد أدى احتلال رومل لقمة جبل "ماتاجور" إلى إبهار الجميع، واستطاع أن ينال ترقية غير عادية فيصبح "كابتن– نقيب"، ويُمـــنح وسام "الاستحقاق" الذي لم ينله إلا القلّة من قادة الجيش الألمـــاني.

نهاية الحرب والهزيمة الألمانية

في يونية سنة ١٩١٤م تسبب مقتل الأرشيدوق فرديناند ولي عهد النمسا في اندلاع أعظم صراع شهده العالم حتى حينه، اندلعت نيران حرب أتت على الأخضر واليابس، ومات فيها ملايين البشر، ودُمِّرت فيها بلدان وقرى، واشترك فيها من لا ناقة له فيها ولا جمل..

تلك الرصاصة جعلت النمسا تهاجم الصرب بعد شهرين من اغتيال ولي عهدها.

فتحركت روسيا لتناصر الصرب - بسبب العلاقات العرقية والمذهبية بين الرُّوس والصرب - فأعلنت الحرب على النمسا.

لم تجد فرنسا نفسها بمنأى عن الحرب؛ فأسرعت تحرِّك قواتها ضد الحلف النمسوي وتعلن تأييدها لروسيا ضد الإمبراطورية النمساوية.

كانت ألمانيا - الحليف الأكبر للنمسا - قد أعدت نفسها للحرب منذ مدَّة طويلة فكونت أحد أكبر جيوش أوربا وأقواها، وأسرعت بإعلان الحرب على فرنسا وأرادت غزو الأراضي الفرنسية لتحقيق حلمها بالسيادة على أوربا الوسطى والغربية.

أما أصحاب الإمبراطورية التي لم تكن الشمس تغيب عن أراضيها - الأسد العجوز بريطانيا العظمى - فلم يكونوا ليقبلوا احتلال الألمان للأراضي البلجيكية وزحف الألمان نحو فرنسا، واستيلاءهم على موانئ القنال الإنجليزي وبحر المانش، فأسرعت لتعلن الحرب على ألمانيا، والتزامها بمساعدة العدو القديم فرنسا الحرة.

وهكذا دخلت أوربا جميعها الحرب، ودخلت جميع بلدان العالم مع أوربا قهرًا أو خوفًا.

استطاعت القوات الألمانية أن تجتاح كلَّ ما يقف في طريقها واستمر تراجع القوات الإنجليزية – التي جاءت لتساند الفرنسيين – وتراجعت معها القوات الفرنسية إلى عمق فرنسا الجنوبي. لقد كان مليونا جندي ألماني – في أحسن تدريب ويمتلكون أحدث أسلحة ذلك العصر – يشقون الأراضي الفرنسية كسكين حاد في قطعة من الزبد، حتى أطلق قيصر ألمانيا ويلهيلم الثاني على الجيش الفرنسي المنسحب لقب الجيش الصغير التافه.

لكن مسار الحرب العالمية الأولى تغير مجراه إلى غير صالح الألمان والدول المتحالفة معها وذلك في إبريل سنة ١٩١٧م؛ حينما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على ألمانيا وحلفائها مما غير مجريات الأمور. وتغير ميزان القوى، فبدأ تراجُع القوات الألمانية رغم الانتصارات الباهرة التي حققتها في بداية الحرب حتى انتهى الأمر باستسلام ألمانيا وتوقيعها معاهدة فرساي التي مثَّلت النهاية المهينة لألمانيا، لكنها من الناحية الأخرى كانت القنبلة الموقوتة لقيام حرب أعظم وأشد تدميرًا من الحرب الأولى.

معاهدة فرساي ... النار تحت الرماد

ليس على المهزوم أن يقتصر على تجرع مرارة الهزيمة فقط بل عليه – قهرًا – أن يقبل بإملاءات وشروط الطرف المنتصر.

لقد كان الشعب الألماني أكبر شعوب أوربا، حيث يصل عدد سكانه إلى ٦٨ مليون نسمة، لكنه مع ذلك أُرغم على عدد من الشروط المجحفة التي كان منها:

١- ألا يزيد عدد جنوده على ٩٦ ألف جندي، يقودهم أربعة آلاف ضابط برتب مختلفة.

٢- أن يتعهد الضباط بالخدمة لمدة ٢٥ سنة، وعلى ضابط الصف والجندي أن يتعهدا بالخدمة لمدة اثنتي عشرة سنة.

٣- أن يحتوي الجيش على ثماني عشرة كتيبة من الخيَّالة - في عصر الطائرات والغواصات والدبابات!

٤- إلغاء التجنيد الإجباري الذي طبقته ألمانيا فكونت بذلك أضخم جيوش أوربا وأشدها.

كان هذا النظام الذي حددته المعاهدة غريبًا على الألمان، لذلك احتاج هذا الجيش الصغير إلى بضع سنوات كي يراه الألمان شيئًا.

وقد اختلفت الدوائر الألمانية في تفسير كُنْه هذا الجيش، فالتي كانت في أقصى اليمين زعمت أنه جيش أحمر، والتي كانت في أقصى اليسار زعمت أنه جيش أُلِّف ليكون أداة مناوئة للحركات الشعبية.

لكن الواقع يقول: إن معاهدة فرساي سنة ١٩١٩م قد وضعت نهاية للرايخ الألماني القديم؛ فكان على الملك أن يعتزل وأن يطوح بعرشه، كما كان على ألمانيا بعد حقبة طويلة من تاريخها الملكي أن تختار لنفسها النظام الجمهوري. ونتيجة لذلك فإن الأسس التي كان الجيش يرتكز عليها زُلزلت تحت أقدامه إلى حد بعيد وأخذت في الزوال، فآثر الكثير من الضباط التقاعد بعد أن عصفت الأيام بما اتخذوه لهم مثلاً وشعارًا.

لهذا لم تخلف معاهدة فرساي الجمهورية الحديثة فحسب بل خلفت القوات المسلحة الألمانية الحديثة أيضًا.

عاش روملِ هذه الأيام العصيبة في حياة أمة مُنيت بهزيمة قاسية ومعاهدة مهينة كتلك التي لقيها من قبل محمد علي باشا حاكم مصر من الأطراف نفسها روسيا وفرنسا وبريطانيا. لذلك، وبعد هذه المعاهدة المهينة لم تكن الأمور ممهدة للقوات المسلحة الألمانية في سنيِّها الأولى.

لقد وضع القدر في مسيرة التاريخ الألماني قائدَيْن أتيا ليغيِّرا الأوضاع إلى حين.

كان أولهما القائد الهُمام رين هارت من مدينة روتنبرج، الذي كان له الفضل في تمهيد الطريق أمام هذا الجيش خلال الفترة الحرجة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى.

أما القائد الثاني الذي لعب الدور الأكبر في تغيير وجه ألمانيا إلى الأبد فهو القائد فون هانز سيكت، الذي وضع خطة على المدى القصير وأخرى على المدى الأبعد لصناعة جيش قوي يكون ملتزمًا ظاهريًّا ببنود معاهدة فرساي.

لقد كان العدد الذي يجب ألا تتعداه القوة الألمانية حجر عثرة في بناء جيش قوي، لكن فون سيكت تغلب على ذلك بأن جعل هذا الجيش مكونًا من أفضل الرجال المختارين بعناية وفق مواصفات جسدية معينة، ووفق اختبارات نفسية ولياقية محددة.

كان الضباط الألمان يمتازون بأنهم ليس لهم توجهات سياسية، فقد لُقنوا طوال أجيال عديدة ومنذ نعومة أظفارهم الابتعاد عن شتى الاتجاهات السياسية، ولهذا فقد ابتعد روملِ عن المجال السياسي وساعده على ذلك شخصيته المتزنة وميله إلى الحياة العائلية الهادئة.

ولكونه قد حصل على وسام الاستحقاق إلى جانب النياشين العديدة، فقد انهمك رومل في عمله بجد واجتهاد لإخراج جيل جديد من الجنود والضباط وفق السياسة الجديدة التي وضعها فون سيكت لبناء جيش ألمانيا الجديد، الذي لم يكن همه حماية الأمن الداخلي لألمانيا كما نصت على ذلك معاهدة فرساي، بل كانت خطة فون سيكت بناء جيش حديث يستطيع أن يواجه أي تحدٍّ على المستوى الأوربي والعالمي.



رومل وأوسمة الشجاعة

كان رومل يخدم في منطقة شتوتجارت التي تتمتع بجمال وهدوء طبيعي رائع، وعمل إلى جانب مهامه الرسمية في تكوين "جمعية الأصدقاء القدامى لفيلق روتنبرج"، واستطاع عن طريق هذه الجمعية التي ساهم في تأسيسها أن يقدم العديد من المساعدات الإنسانية والاجتماعية والصحية لكثير من الضباط والجنود الذين خدموا معه في الحرب الماضية، وخاصة بعد الأزمة التي شهدتها ألمانيا بعد انتهاء الحرب من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكانت هذه الأزمة تشمل العالم كله، ولكنها كانت شديدة القسوة في ألمانيا المهزومة في الحرب.

الفصل الثاني

ألمانيا بين الحربين وظهور هتلر

يجب على القائد أن يدرك أن مكانه ليس في الخلف مع هيئة أركان حربه، وإنما في أقصى الأمام مع قواته؛ فالجنود لا يشعرون بالصلة بينهم وبين قائد يقبع في الخلف في مقر قيادته، إن وجوده في الأمام بين جنوده، وخاصة في لحظات الذعر والإرهاق أو الإعياء أو عندما يتطلب الأمر مجهوداً غير عادي فإن المثل الذي يضربه القائد بوجوده تحت الظروف نفسها يصنع المعجزات...

رومل

الفصل الثاني

ألمانيا بين الحربين وظهور هتلر

في كتابه الشهير "كفاحي" استعرض أدولف هتلر آثار الحرب العالمية الأولى على ألمانيا، وتأثيرها الفكري الشديد على الشباب الألماني والشعب الألماني بصفة عامة.



أدولف هتلر

وفي "كفاحي" نادى هتلر بالتخلُّص من الآثار السلبية التي خلفتها الحرب على الشعب الألماني، وتحدث كذلك عن قدرة ألمانيا على النهوض من واقعها المؤلم، وقدرة الشعب الألماني على صنع مستقبل جديد باهر.

وعلى عكس الفكر القديم "الهوهنزلرن" الذي كان ينادي بضرورة تشبُّه ألمانيا بالإمبراطورية الواسعة التي أنشأتها بريطانيا فيما وراء البحار، أو فيما يسمى بالمستعمرات الجديدة، وكذلك ما فعلته فرنسا وهولندا من توسع في العالم الجديد، فقد نادى هتلر بما سماه بـ "المجال الحيوي لألمانيا الجديدة" وخص بالذِّكر الأراضي الروسية.

كان هتلر كاثوليكيًّا من النمسا، قصير القامة، غير معروف، وقد قَدِم لأول مرة من "فيينا" إلى "ميونخ" عام ١٩١٢م دون أن يثير قدومه إليها أي انتباه. وقد عاش هناك عيشة متواضعة ولما نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، تطوع هتلر النمسوي في جيش بافاريا الملكي (الألماني) لا في جيش النمسا والمجر الإمبراطوري القديم، فالتحق بكتيبة الاحتياط المشاة التاسعة عشرة البافارية، وخدم

طيلة الحرب جنديًا في الخطوط الأمامية وكان – كما تحدث بعض رفقائه القدامى – جنديًا بسيطًا يتحلى بالشجاعة ويتطوّع في كل دورية، وكان يهوى الجنديـة علـى الرغم من أن مهنته السابقة كانت معمارية فنية. ومن الغريب على كل حال فـشله في الوصول إلى رتبة ضابط صف خلال أعوام الحرب الأربعة رغـم شـجاعته الشخصية. وأخيرًا عُيِّن برتبة جندي أول على قوة هيئة مقر الكتيبـة الاحتياطيـة السادسة عشرة، غير أنه لم يُمنح قط رتبة ضابط صف، إلا أنـه كُـوفئ بوسـام الصليب الحديدي من الصنف الأول والثاني وشريط الإصابة بالجروح.

إنه من الممتع أن نعلم أن رفقاءه في السلاح الذين عايشوه في الملاجئ والخنادق يذكرون قصصًا ممتعة عن تلبسه بشيطان السياسة في كثير من الأحيان. وكثيرًا ما سخر منه زملاؤه البافاريون؛ لأنهم كانوا غير قادرين على تفهُّـم أي شـيء مـن أفكاره السياسية المضطربة في نظرهم، إذ لم يكونوا من هواة الأحاديث الـسياسية، ولربما نتج عن تحدثه بالسياسة رفض قائده ترقيته إلى رتبة ضابط صف، مـع أن قائده كان يقدر شجاعته غاية التقدير عند مواجهة الأخطار.

ثم نسمع عن هتلر ثانية في عامي ١٩١٨ و١٩١٩ في ميونخ جنديًا مُسَرَّحًا من الجيش بلا منصب، وغير معروف في زمن حكم دكتاتورية "إيسز" الشيوعية، التي حكمت بالقوة مدة قليلة، وسارت على النهج البلشفي – والبلاشفة هـم الـشيوعيون الروس – وهنا كانت نقطة الانطلاق لهتلر في سيره نحو السياسة؛ حيث ارتمى في أحضانها منذ ذلك التاريخ بكل جوارحه معارضًا الشيوعية والبلشفية بعقله وقلبه.

وليس من أغراض الكتاب الذي يؤرخ لسيرة رومل أن يتحـدث عـن تطـور الاشتراكية الوطنية (النازية)، غير أنه لا بُدَّ من الإشارة إلى الاتجاهات التي سادت ألمانيا من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية؛ لكي ندرك التأثيرات والدوافع

والتغيرات التي واجهت الضباط الألمان، بل جميع الجنود والسياسيين بما فيهم رومل على وجه الخصوص.

أفلح هتلر في إيجاد حزب سياسي صغير في ميونخ تصدى لتحمُّل واجب مزج القومية بالاشتراكية، وذلك بالقضاء على بعض الامتيازات الاجتماعية التي يتمتع بها مؤيدو القومية، ومحاولة كسب الطبقة العاملة وجعلها بجانب الدولة. ولقد كانت الظروف السائدة ملائمة لنجاح هذه المبادئ؛ فقد عاش الألمان برغبتهم واختيارهم في عالم من نسج الخيال، منغمسين في أوهام الحكم الإمبراطوري المطلق السابق دون أن يكون لهم إلمام بالأسس السياسية الصحيحة. وبعد أن خسرت ألمانيا الحرب وجدت نفسها مضطرة إلى أن تستبدل بالحاكم المطلق الفردي الذي توارثته أجيالاً، حكمًا جمهوريًّا ديمقراطيًّا غامض المفهوم بالنسبة إليهم في ذلك الوقت. ولانقسام الرايخ إلى أحزاب عديدة متطاحنة، ولوجود تيارات داخلية مختلفة الأهداف، كل ذلك أنذر بتفكُّك الرايخ بفعل هذه العوامل الداخلية والخارجية، بالإضافة إلى اشتداد وطأة الأزمة الصناعية يومًا بعد يوم، وظهور مشكلة التضخم النقدي، وما أصاب ألمانيا من انهيار اقتصادي خلال السنوات من ١٩١٩ حتى ١٩٢٣، كل ذلك سبب حدوث انتفاضات في أرجاء ألمانيا كافة تقريبًا تطل بوجهها الدميم المصحوب بأزيز المدافع الآلية تغذيها العناصر الراديكالية.

أضف إلى ما تقدم أن الشعب خُدع بمعاهدة فرساي سنة ١٩١٩م؛ لأنه قد وُعِد سابقًا بقدر محدود من الحرية بشروط معينة استنادًا إلى نقاط الرئيس الأمريكي "ولسون" الأربع عشرة الشهيرة(١). وقد انطلقت دعاية حكومة الرايخ لتوطيد ثقة

(١) مرت مصر بالحالة نفسها في الفترة نفسها؛ إذ صدق المصريون دعوة ولسون، فذهب الوفد المصري برئاسة سعد زغلول لعرض المطالب المصرية بالحرية إلى مؤتمر الصلح، فظهر له ولوفده أن هذه الوعود ما هي إلا سراب لا حقيقة له.

الألمان بالحرية الموعودة، ولكن تبين فجأة أن ولسون لم يكن ناجحًا في وضع نياته موضع التنفيذ في معاهدة فرساي، ونتيجة لذلك تبدت مرارة الخيبة الـشديدة مـن معاهدة فرساي في كثير من الدوائر؛ ومن المعروف أن رئيس الرايخ قـد أصـيب شخصيًا حينذاك بخيبة أمل عظمية. وهكذا أصبح من العـسير علـى الجمهوريـة الجديدة أن تواجه هذا الموقف مواجهة قوية، فكان ذلك سببًا في جذب الملايين من الشيوعيين في ألمانيا ومن غيرهم من الوطنيين حينذاك إلـى الراديكاليـة، ولكـن تصرَّف كلٌ منهم وفقًا لطريقته الخاصة.

كان هتلر وسط تيارات الأفكار الاجتماعية الجديدة هذه يعمل جاهـدًا للإمـساك بمقاليد الحزب من سنة إلى أخرى. ورغم بعض الانتكاسات فقد استمر هتلر مـن نجاح إلى نجاح، وانتشرت الاشتراكية الوطنية في أنحاء متعددة من ألمانيا، واكتسب إلى جانبه تأييد الطبقة العاملة، ولو أن ألمانيا احتفظت بقدر معقول مـن الحريـة، وحصلت على سلطة ديمقراطية إذًا لبقي هتلر مغمورًا وطواه النسيان.

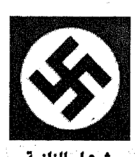
وفي هذه الفترة كان الجنرال فون سيكت قد أصدر أمرًا حظر فيه على الجـيش التدخل في السياسة أو المشاركة في الانتخابات، والتزم رومل لطبيعته الشخـصية أولاً، وللأوامر الصادرة بعدم التدخل في السياسية ثانيًا بعدم المشاركة السياسية في المعارك الطاحنة التي كانت تجتاح الحياة السياسية في ألمانيا في فتـرة مـا بعـد الحرب العالمية الأولى.

لكن هذا العزوف عن المعترك السياسي لم يكن مانعًا لرومل أن يعجب بطريقة ما بأهداف هتلر القومية، وكان – كغيره من الضباط وغيرهم – يرون فـي هتلـر المنقذ لألمانيا من حالة الضياع والتشتت والتشرذم التي كانت تعانيها.

لم يكن الضباط وحدهم – كرومل وأقرانه – الذين رأوا في هتلر المنقـذ مـن الضياع، ولكن كانت الأكثرية من العمال وعدد كبير مـن المـزارعين والطـلاب والفنانين قد آمنوا بهتلر إيمانًا مطلقًا.

وفي عام ١٩٢٣، عندما منح الرئيس هندبنرج ذو المكانة المرموقة والماضي المجيد تأييده هتلر لم يدهش العالم لما غمر الجماهير الألمانية من سرور بذلك، وساد حينذاك الألمان اعتقاد صادر عن يقين أن كل شيء في ألمانيا قد أصبح يسير نحو الكمال في أحسن ما يمكن من الظروف.

كان الجوُّ العامُّ يتجه نحو تأييد هتلر الذي يدغدغ شعورهم الوطني، ولكن كانت الساحة السياسية الألمانية تُواجه في المقابل (أصحاب القمصان الرماديَّة) الذين كانوا - كما يراهم رومل - مجموعة من الأفَّاقين الذين يسعون لتشكيل جبهة تنازع الجيش سلطاته وقيادة ألمانيا في غير الاتجاه الوطني الحر القائم على الديمقراطية والحرية، فبغضهم رومل أشد البغض.


شعار النازية

غير أن رومل في هذه الفترة في المقابل لم يكن مقبلاً على (الحزب الوطني الاشتراكي النازي) رغم تأييده لهتلر في بعض دعاويه الوطنية، فإنه كان يوجد الكثير من نقاط الخلاف بين فكر رومل ونظرته إلى الواجب الوطني وبين نظرة هتلر الوطنية والقومية.

ولكن الأحداث الداخلية والظروف التي مر بها الشعب الألماني أدت في النهاية إلى أن يصل هتلر إلى حكم ألمانيا بعد نضال سياسي شاقّ استمر لفترة غير قصيرة.

في هذه الفترة الحرجة من حياة ألمانيا عُيِّن رومل مدربًا في الكلية الحربية بمدينة بوتسدام، وكان على رتبة عقيد وذلك في أكتوبر سنة ١٩٣٥م. وساعده حصوله على العديد من الأوسمة والنياشين على الترقي في عمله باستمرار، إضافة

إلى اجتيازه اختبارات هيئة الأركان العامة التي يكون أفرادها قادة الجيش الألماني وواضعي مناهج الجيش وخططه المستقبلية، وفي هذه الفترة أيضًا قام رومل بتجميع بعض محاضراته التي كانت يلقيها على طلبة الكلية وآرائه الشخصية في كتاب سماه "هجوم المشاة".

وفي هذا الكتاب لخَّص رومل خلاصة تجاربه الشخصية في الحرب الأولى في العديد من جبهات القتال التي شارك فيها، وفيها أوضاع الطرق التي رآها ملائمة لحشد فرق المشاة في الهجمات الكبرى، وكذلك استخدام فرق المشاة في المباغتة واستغلال عناصر الطقس وطبيعة المكان في الهجوم على العدو سواء على النقاط الثابتة أم الحشود المتحركة. ولقد أصبح هذا الكتاب من الكتب التعليمية القيِّمة في الدراسات العسكريَّة.

عاش رومل في بوتسدام بعيدًا عن مركز الحكم في برلين التي كانت تشهد صراعًا مريرًا بين الأحزاب المختلفة، وخاصة بين الحزب النازي الذي كان يتزعمه هتلر وبين هيئة الأركان العامة للجيش الألماني؛ فقد كان بعض قادة هيئة الأركان يعتبرون الحركة النازية خطرًا محدقًا بألمانيا ومستقبلها، فيما يرى آخرون أنها - أي الحركة النازية - المنقذ لألمانيا والشعب الألماني من حالة الانهيار والسقوط التي تعانيها.

تناوشت هذه الأفكار والتيارات رومل شأنه شأن بقية ضباط الجيش الألماني. وفي هذه الفترة أسند هتلر إلى رومل إضافة إلى عمله في الكلية الحربية, وهو تدريب فرق طلائع هتلر، وهي المنظمة التي كان ينضم إليها الشباب الألماني المتحمس المؤمن بأفكار هتلر النازية الثورية والفكرة القومية التي تجمع عناصر الشعب الآري لإحياء ألمانيا الجديدة.

قام رومل بالتدريب المنهجي الصارم لفرق الطلائع، ولكنه سرعان ما اختلف ورئيس فرق الطلائع المسمى فون شراخ الذي سعى إلى فرض سيطرته على عمل رومل المهني، كما حاول اتهام رومل بعدم الإخلاص للمبادئ التي تقوم عليها فرق الطلائع، والتي وضع نهجها الحزب النازي بنفسه.

كان فون شراخ من تلك النوعية التي تشبه الثعابين في نعومتها وفكرها وخبثها أو كما قال عنه رومل في مذكراته "إنه خبيث، قوي الشدقين، يتقعر في حديثه، وهو مثال الخسة واللؤم".

ونتيجة لدسائس شراخ، فقد أفلح في الوقيعة برومل مما جعله مستبعدًا من تدريب فرق الطلائع، فعاد إلى عمله في الكلية الحربية ببوتسدام مخلصًا عمله فيها حتى تمت ترقيته في سنة ١٩٣٧م إلى رتبة عميد. وفي العام التالي تم نقله إلى الكلية الحربية في وينرنو ستادت مديرًا عليها إلى جانب عمله في بعض الأحيان قائدًا لكتيبة حماية هتلر نفسه. وفي هذه الأثناء كان نفير الحرب يدق على أبواب أوربا، وكان الجميع يتوقعون نشوب نارها في أي وقت، وهو ما كان يرفع الستار على فصل جديد في حياة رومل القائد الفذ في التاريخ الألماني والعالمي.

الفصل الثالث

بركان الحرب وابتلاع بولندا

إن الحرب دائمًا لا تنفع الأفراد الذين أشعلوها بل نراها تأكلهم بنارها إلا فيما ندر، أو إذا كانت لهدف تحرير الوطن وليس الاحتلال...

رومل

الفصل الثالث

بركان الحرب وابتلاع بولندا

كانت الفترة بين (١٩٣٣ – ١٩٣٩) فترة انقلابية مشحونة بالتوتر الداخلي في المجالات السياسية والاقتصادية والشعبية كافة، وأخذ الجيش يُساق إلى اعتناق المبادئ النازية. ولا عجب في ذلك؛ لأن الجيش جزء من الشعب.

وفي عام ١٩٣٨ ظهرت مذكرة رئيس أركان الجيش اللواء بيك الشهيرة؛ فقد كان القائد العامُّ للجيش الفريق فون براوشتش ورئيس أركان الجيش اللواء بيك قد تتبعا سياسة هتلر بقلق متزايد، فكانا يخشيان أن تؤدي هذه السياسة إلى حرب لا مفرَّ منها ضد حلفاء أقوياء. ولم يتسن لهما انتقاد هذه السياسة أو الصمود ضد تياراتها باعتبارهما من رجال الجيش، شأنهما في ذلك شأن رجال الجيش في الممالك الأخرى؛ لأن من واجب الجندي تنفيذ أوامر السياسيين في الظروف والأحوال كافة، ولأن السياسيين هم الذين يمتلكون زمام القيادة.

غير أنهما شعرا في قرارة نفسيهما أن من حقهما ومن واجبهما أن يلفتا نظر هتلر إلى وجهات نظريهما، كما كانا مرتابَيْن في صحة بعض الاتجاهات العسكرية البحتة؛ ففي غضون ثلاث سنوات (١٩٣٥ – ١٩٣٨) جرى توسيع الجيش، فأصبح أضعاف ما كان عليه سابقًا، إذ ليس في وسع أي جيش أن يتسع بمثل هذه السرعة من غير أن يفرط بصلابة تكوينه الداخلي، كما لم يكن التسليح المادي سليمًا كما كان يتراءى، ولم تكن المواد الاحتياطية كافية لحرب كبرى. كل ذلك أدى إلى تقديم بيك لمذكرته في سنة ١٩٣٨م مدفوعًا بالعقلية الواسعة التي يتصف بها.

وافق قادة الجيش الأقدمون على المذكرة، فقدمها القائد العام للجـــيش إلـــى هتلر شخصيًّا.

نظر هتلر إلى هذه المذكرة من أسوأ جوانبها، فخيل إليه أنه يـــرى فيهـــا برهانًا آخر على تردد القادة وهيئة ركنهم، فرفضها بجفاء وأحال رئيس أركان الجيش اللواء بيك إلى التقاعد.



هتلر يستعرض القوات التي تستعد لغزو بولندا

لم يستمع هتلر إلى نصائح قادة جيوشه بتأجيل الحرب خمـــس ســـنوات حتـــى تستكمل الجيوش استعدادها؛ فقد ألمح في أحد الاجتماعات بأنه لم يعد يجد في عمره فسحة للانتظار من أجل تحقيقه الأهداف التي أوكلته بها العناية الإلهيَّة – تمامًا كما يدعي جورج بوش هذه الأيام – فقرَّر أن يبدأ مغامراته الخارجية الكبرى بـــالهجوم على بولندا.

المعاهدة الروسية الألمانية

لكي يضمن هتلر حياد الروس إزاء حركة الغزو، أمر وزير خارجيته روبنترب بإجراء اتصالات محمومة لتوقيع ميثاق صداقة وتعاون مع الروس في أسرع وقت، علمًا بأن العلاقات الروسية الألمانية حتى ذلك الحين كانت رتيبة خالية من الاستفزاز المباشر، وإن لم تكن خالية من الشكوك والحذر. وقام روبنترب باتصالات سريعة، ساعده فيها سفير ألمانيا لدى موسكو الذي أرسل بعد عدة أيام من الاتصالات برقية جاء فيها: "توافق الحكومة الروسية على أن يقوم وزير خارجية الرايخ بزيارة لموسكو بعد أسبوع واحد من إعلان التوقيع على ميثاق اقتصادي بين البلدين، وقد قدم مولتوف وزير خارجية روسيا مسودة مشروع ميثاق عدم الاعتداء وسأبرق لكم بنص المشروع".

لكن هتلر كان على عجلة من أمره؛ فالانفجار على حدود بولندا يقترب، والاتفاق مع الروس يجب أن يكون أسرع، فبعث إلى ستالين ببرقية جاء فيها: "المسيو ستالين، يسرني أن أرحب ترحيبًا حارًا بتوقيع الاتفاق التجاري الجديد بين روسيا وألمانيا كخطوة أولى على طريق تنظيم العلاقات بين بلدينا، ويعني توقيع عدم الاعتداء بالنسبة إليَّ توطيد أسس السياسة الألمانية إلى وقت طويل قادم، وبهذا الميثاق تستأنف روسيا وألمانيا خطًّا سياسيًّا نافعًا ومفيدًا للدولتين كلتيهما".

رد ستالين على رسالة هتلر فكان في رسالته: "أدولف هتلر .. أشكرك على رسالتك، وكلِّي أمل في أن يؤدي ميثاق عدم الاعتداء بين ألمانيا وروسيا إلى تحول نحو الأفضل في العلاقات السياسية بين بلدينا...".



الرئيس الروسي جوزيف ستالين

كان هتلر يرمي إلى تحييد الروس حتى يبتلع بولندا وما بعدها، وكان ستالين يرمي إلى دَفْع الحرب بعيدًا عن بلاده، وتوجيه هتلر نحو فرنسا وبريطانيا.

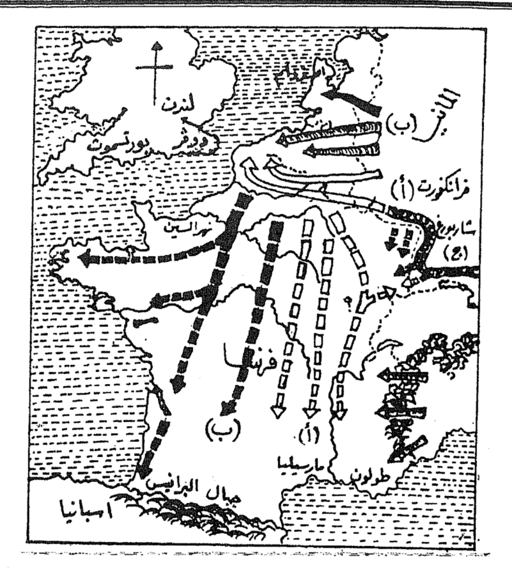
وفي الوقت الذي كانت فيه إذاعات ألمانيا وصحفها تطبل وتزمر للاتفاق مع روسيا، كان هتلر يجتمع بقادته العسكريين ويبشرهم بأنه هيأ لهم الأجواء الملائمة لابتلاع بولندا.

واستهل حديثه بقوله: "كل شيء يعتمد في الأساس على وجودي؛ وذلك نتيجة لما أتمتع به من مواهب يضاف إلى ذلك حقيقة أخرى، وهي أنه لن يتاح لأي رجل آخر في المستقبل أن يحظى بثقة الشعب الألماني قاطبة على النحو الذي حصل لي، ومن المحتمل ألا يظهر أبدًا في هذه البلاد رجل يتمتع بما أتمتع به من سُلطة".

غزو بولندا

من مقرٍّ قيادة هتلر صدر التوجيه رقم واحد بغزو بولندا بدايةً من فجر الأول من سبتمبر سنة ١٩٣٩م. وبينما كانت القوات الألمانية تتوغل داخل حدود بولندا، قدمت الحكومة البريطانية مذكرة إلى الحكومة الألمانية تؤكد فيها التزامها الدفاع عن بولندا، وفي الثالث من سبتمبر قدمت الحكومة البريطانية إنذارًا نهائيًّا إلى الحكومة الألمانية أنها ستكون معها في حالة حرب ما لم تسحب قواتها من بولندا في ذلك اليوم.

رفضت ألمانيا الإنذار، فأعلنت بريطانيا الحرب عليها، وتبعتها فرنسا لتشتعل الحرب العالمية الثانية.



روميل في بولندا

أدى تخطيط الحدود البولندية خاصة بعد الحرب الأولى إلى أن تطوقها ألمانيا من ثلاث جهات؛ ففي الشمال تقع بروسيا الشرقية، ومن الحدود الجنوبية لبروسيا تستطيع القوات الألمانية أن تندفع جنوبًا نحو العاصمة وارسو، وبريست ليتوفيسك، ومن جهة أخرى كانت الحدود البولندية التشيكية تغري بشن هجوم يتجه نحو الشمال ومدنه الرئيسية ... باختصار كانت بولندا في وضع بائس يائس أمام الجحافل الألمانية.

أضف إلى ذلك أن في غرب بولندا تقع منابع تموينهم وصناعتهم المهمة، وكانت المقاطعة الألمانية السابقة - التي تم ضمها إلى بولندا في الحرب الأولى - تحتوي على مصادر ثروة بولندا.

بدأ الهجوم الألماني بغارة جوية ساحقة يوم الأول من سـبتمبر سـنة ١٩٣٩م، وكان رومل في مقر رئاسة هيئة الأركان الذي يتولى فيه هتلر بنفسه قيادة الجيوش ومتابعة التحركات، وإصدار الأوامر المستمرة لمتابعة شؤون القتال.

استطاعت القوات الألمانية اجتياح بولندا في أقل من شهر، واستمر رومل فـي متابعة تحرك القوات من مدينة إلى أخرى.

وقد استفاد رومل من المعارك التي خاضتها القوات الألمانيـة علـى الجبهـة البولندية؛ فأدرك أهمية التنسيق التام بين أفرع القوات المختلفة، وأدرك - وهو قائد المشاة السابق - أهمية القصف الجوي المركز على قوات العدو ومواقعه في تدمير القطاعات المختلفة لجيوش الأعداء، وهو ما طبقته إسرائيل في حرب سنة ١٩٦٧م، وما طبقته مصر في حرب سنة ١٩٧٣م، وطبقته الدول الأخـرى فـي الحـروب التالية.

أثبتت تجارب الحرب البولندية أن هناك قسمًا من مشاة الألمان - السلاح الذي عمل فيه رومل طويلاً - لم يكن ثابتًا تحت النار، ولم يبلغ مستواه مستوى وحدات المشاة الألمانية الشهيرة في سنة ١٩١٤م. وقد اهتم قادة الوحدات - مـن بيـنهم رومل - وقد أبدوا تذمرهم من أن بعض قطاعاتهم تهاجم بقلوب خائرة، لم يكـن ذلك ناجمًا عن جندي المشاة الألماني، بل سببه التوسع فـي إنـشاء التـشكيلات بسرعة فائقة جدًّا، فلم يحظ الجيش نتيجة ذلك بالانسجام الداخلي المتين، وهو مـا عمل رومل في جميع حروبه بعد ذلك على تجنبه كما سيتبين بعد ذلك.

الفصل الرابع

رومل في غرب أوربا

لقد علمتني تجاربي أن القرارات الجريئة هي خير أسباب النجاح...

رومل

الفصل الرابع

رومل في غرب أوربا

قبيل انتهاء الحرب البولندية سُحبت الفرق الألمانية الفائضة عن الحاجة إلى الغرب، نحو بلجيكا وهولندا وفرنسا. وكانت الجبهة الغربية تلك مقسمة بين ثلاثة جحافل جيوش: جحفل الجيش (ب) بقيادة فون بوك، ويضم الجيوش الثامن عشر والسادس والرابع، مع القسم الأكبر من الفيلق الآلي.

وقد رتب هذا الجحفل بالعمق اعتبارًا من الراين الأسفل وإلى الشرق، وكانت فرقه الأمامية على الحدود الشرقية لهولندا وبلجيكا.

وجحفل الجيش (أ) وهو مؤلف من الجيش الثاني عشر بقيادة ليسن والجيش السادس عشر بقيادة بش وفرقه الأمامية على حدود فرنسا ولوكسمبورج، وجحفل الجيش (جـ) بقيادة فون ليب.

بدأت التحركات يوم ١٣ مايو سنة ١٩٤٠م وتحركت جميع القوات إلى أهدافها. تحركت فرقة رومل البانزر المدرعة لتعبر نهر الموز مندفعة نحو بادوكاليه. كانت هناك فرقة مدرعة أخرى مدرعة بقيادة جودريان تعمل بالتوازي مع فرقة رومل.

عمل رومل – مستفيدًا من الحرب البولندية – على سرعة التحرُّك واستغلال سرعته في تعويض النقص العددي في مقابل قوات الحلفاء التي تجابه القوات الألمانية بقوات أكثر عددًا؛ فلم يكن رومل يعطي القوات المعادية الفرصة للاستعداد للمواجهة حتى إذا رأى تجهيزات أعدائه واستعدادهم غير خطته بصورة مفاجئة لإرباك قوات العدو.

كان رومل يقود الفرقة المدرعة السابعة التي عبرت نهر الموز بمجموع يزيد على المائتي دبابة.

وفي مذكرات روමل يصف المرحلة الأولى للهجوم فيقول: "كان العدو قد أعـد خلال الأشهر السابقة للهجوم جميع أنواع الحواجز والعوائق فـي قطـاع هجـوم فرقتي؛ فكانت الشوارع جميعها، والطرق التي تخترق الغابات قد قُطعت بالحواجز الثابتة والألغام التي أحدثت حفرًا عميقة في الشوارع الرئيسية.

والآن أصبحت معظم الحواجز مهجورة، وتركتها الوحـدات البلجيكيـة وهـي محرومة ممن يدافع عنها. بذلك أصبح من النادر أن تتوقف وحدات فرقتـي أمـام الحواجز، وهي إذا ما توقفت فلفترة قصيرة جدًّا. وكان باستطاعتنا تجنب الكثير من هذه الحواجز، إما بالمرور إلى جانبها، أو بالسير في الطرقات الموازية.

وأثناء ذلك كانت بقية الوحدات تقوم بتدمير الحواجز وأصبحت الطرق نظيفـة على الفور. ولقد صُدِمنا لدى أول اشتباك لنا مع القوات الآلية الفرنسية ففتحنا النار على الفور، مما حملهم على الانسحاب سريعًا ولقد أكد ذلك ما استخلصته مـرَّات عديدة من قبل. وهو أن النجاح في مثل هذه الاشتباكات، إنما يرتبط بمـن يـضع العدو أولاً تحت رحمة نيرانه، ولهذا يجب على راكبي الدراجات الناريـة والـذين يتقدمون أمام الأرتال، أن يكونوا على استعداد دائم لإطلاق نار أسلحتهم الآلية، مع الحرص على تطبيق المبدأ ذاته عندما لا تكون المعلومات المتوافرة عـن العـدو دقيقة، بحيث يتم توزيع النار على حدود المواقع التي يحتلها العدو. ولقد استخلصت من تجربتي أن تطبيق هذا المبدأ يُنقص كثيرًا من حجم الخسائر في صفوف القوات الصديقة. وقد يكون من الخطأ الفادح التوقف واللجوء إلى السواتر، دون اسـتخدام النيران، أو الانتظار حتى تبدأ القوى الأخرى بفتح النيران[١].

(١) عملت القوات المصرية بهذا المبدأ في هجومها المباغت في حرب ١٩٧٣؛ حيـث قامـت القوات العاملة طيران، بحرية مدفعية، صواريخ ... إلخ بالضرب المباشر في توقيت واحـد لتدمير أكبر جزء من قوات العدو، وحتى يلجأ العدو إلى الدشم للاحتماء، وبالتالي عدم قدرته على سرعة الرد والمجابهة.

لقد ظهر منذ بداية هذه الاشتباكات، وبصورة خاصة في هجوم المدرعات، أن الرمي المباشر ضد المنطقة التي يفترض وجود العدو فيها، وعدم الانتظار، هو الذي يقرر بصورة عامة مصير المعركة. ولقد كان رمي المدفع الرشاش، أو المدافع المضادة للدبابات من عيار ٢٠مم ضدَّ المدافع المضادة للدبابات المعادية في الغابات ذا تأثير فعال جدًّا في معظم الحالات؛ إذ كان يحرم العدو من المقاومة، ويدفعه إلى ترك مواقعه وأسلحته، كما حقق فتح النار بسرعة على دبابات العدو نتائج مماثلة، وذلك عندما اشتبكت دباباتنا مع دبابات العدو، وذلك رغم تفوُّق الدبابات المعادية".

وعندما هدأ القتال قليلاً، وبينما قوات رومل تعيد تنظيم القوات وتتفقَّد القتلى والمصابين وتتفقَّد الأسلحة وإعادة تنظيمها، وجد رومل نفسه في فسحة من الوقت ليمارس هوايته بالكتابة المنتظمة لزوجته المحببة إلى قلبه ليكتب إليها عن أحواله – وهو ما داوم على فعله – فقال في رسالته إليها بتاريخ الحادي عشر من مايو سنة ١٩٤٠م.

"عزيزتي الغالية لو"

وجدت اليوم – وللمرة الأولى – لحظة لالتقاط أنفاسي، ولأكتب إليك. لقد سارت الأمور بشكل رائع حتى الآن. لقد تقدمت على جوادي وشُغلت تمامًا بإعطاء التعليمات والأوامر، لم أنم إلا ثلاث ساعات، كما أنني لم أتناول من الطعام غير قليل ما بين فترة وأخرى، وباستثناء ذلك فأنا على خير ما يرام...".

كان على الجيوش الألمانية التابعة لجحفل الجيش (أ) أن تتغلب على دفاعات الحدود أولاً، وأن تُطهر المنطقة من العقبات الكثيرة المضادة للدبابات، ثم تتقدم مخترقة بلجيكا الجنوبية ذات الجبال والغابات، إلى أن تصل في اندفاعها إلى نهر الموز, وقد افترض أن المقاومة ستنبعث من قطاعات الحدود ومن القطاعات

السيارة الخفيفة ابتداءً من الحدود وفي داخل البلاد، ولذلك قد تـستغرق مقـدمات الجيش, وجيوش المشاة الثلاثة يومين أو ثلاثة أيام قبل أن تصل إلى المـوز بـين نامور وسيدان، وعلى هذا فلدى الفرنسيين وقت كافٍ لاحتلال المنطقة بسهولة.

تكثر في وادي الموز ووادي سي مواز الضفاف الحادة، كما أن هذين النهـرين متعرجان كثيرًا، لذلك يتطلب التغلُّب على عقباتهما كفاحًا طويلاً مريرًا حتـى لـو اقتصر الأمر على الوصول إلى الخط المحصن في الموز.

فتم تكليف كل من القائد جودريان وفرقته وروميل وفرقته بعبـور ذلـك النهـر بمدرعاتهما فتوجهت الفرقتان لتنفيذ المهام.

وفي الثاني عشر من مايو وصلت طلائع قوات رومل إلى نهر الموز في سعيها لملاحقة الفرقتين الأولى والرابعة للخيالة الفرنسيين.

كان رومل يهدف إلى تشكيل رأس جسر على ضفة النهر الغربية، لكنَّ القـوات الفرنسية نجحت في تدمير جسر دينانت وجسر هوكس لمنع المدرَّعات الألمانية من العبور. ولما كانت الأوامر الصادرة إلى رومل تقضي بضرورة عبور قواته النهر بأي طريقة، فقد اضطر رومل إلى إصدار أوامره باستعمال القوارب المطاطية في عبور القوات مما جعلها سهلة القنص للقوات المعادية خاصة في ظل نقص الغطاء الجوي المناسب ونقص حماية المدرعات، مما عرَّضها لخسارة فادحة ... ولنتـرك رومل يقص بنفسه تلك الأحداث.

"وصلتُ إلى دينانت في الساعة ٤,٠٠ من صباح يوم ١٣ مايو وكانت المدفعية قد نفذت الأوامر التي تلقَّتها، فاحتلت مرابضها، ودفعت فرق الاستطلاع إلى نقـاط العبور.

ووجدتُ في دينانت بعض رجال اللواء السابع فقط، فيما كانت قنابـل المدفعيـة الفرنسية المتمركزة على الضفة الغربية تتساقط على المدينة، وقد أصيبت دبابـات

عدة وهي في طريقها إلى نهر الموز. وكان هدير المعركة يغطي الوادي، وكان لا بُدَّ من التوقف أمام حاجز نهر الموز.

لقد كان من المحال إحضار عربة القيادة والاتصالات إلى أسفل المنحدر الحاد المجاور للنهر نظرًا لوقوعه تحت أنظار العدو ونيرانه. ولهذا فقد ترجلت عن عربة القيادة، وسرت مشيًا على القدمين عبر الغابات إلى أن وصلت حتى جوف الوادي. وكان لواء المشاة السادس على وشك العبور إلى الضفة الأخرى بواسطة الزوارق المطاطية. ولكن نيران المدفعية الغزيرة أوقفته، كما أعاقته جدًّا رمايات الأسلحة الخفيفة للوحدات الفرنسية التي اتخذت من صخور الضفة الغربية أعشاشًا لمقاومتها. وكان هذا هو الموقف عندما وصلت، ولم يكن موقفًا يبعث على البهجة أو السرور.

وتمزقت زوارقنا المطاطية الواحد بعد الآخر بالنيران الجانبية للفرنسيين، وفشلت كل محاولات العبور.

وكان رماة العدو قد أتقنوا أعمال الإخفاء والتمويه بحيث كان من المحال على عدسات المنظار اكتشافهم، رغم البحث الطويل والدقيق عنهم. وقد عملوا مرات على توجيه نيرانهم نحو النقاط التي كنت أضطجع فيها مع رفاقي من قادة لواء الرماة – المشاة – وقادة فوج المهندسين. ولكن ستارة الدخان التي غطت وادي الموز هي التي أعاقت هؤلاء الرماة بالتأكيد، ومنعتهم من إصابتنا بأضرار كبيرة. ولما لم يكن لدينا وحدات لبث الدخان، فقد أصدرت الأوامر بإحراق عدد من المنازل بالوادي للحصول على ستارة دخانية كافية لحمايتنا وستر تحركاتنا. وتزايد موقفنا حرجًا وضيقًا – دقيقة بعد دقيقة – بسبب رمايات العدو، وأصيب أحد زوارقنا المطاطية أمام أعيننا، وصرخ أحد الجنود بنداء الاستغاثة، غير أننا كنا عاجزين عن إنقاذه من الغرق تحت سيل نيران العدو. وأثناء ذلك، كان فوج راكبي الدراجات السابع قد نجح في احتلال قرية جرانج على الضفة الغربية من النهر، والتي تبعد ٢ كم عن هوكس والموز، والواقعة شمال غرب دينانت بمسافة ٥ كم.

ولكن هذه الوحدة لم تعمل على تطهير ضفة النهر، فأصدرتُ إليها الأوامر للعمل من أجل طرد العدو، وإخراجه من أعشاش مقاومته. ثم اتجهت جنوبًا على طريق هنالوادي، على متن دبابة يانزر ٤ لمعرفة موقف لواء المشاة السابع، وتعرضت في الطريق للرمايات الصادرة عن الضفة الغربية. وقد شاهدنا بعض جنود المشاة الفرنسيين - المنعزلين - ونحن نقترب منهم. وعندما وصلت إلى لواء المشاة السابع عرفت أن هذا اللواء نجح في إرسال سرية من قواته إلى الضفة الغربية. ولكن رمايات العدو الغزيرة استطاعت تمزيق وسائط العبور وتدميرها، فبات لزامًا إيقاف العملية. وكان قد تم نقل الجرحى إلى عدد من البيوت المجاورة لعلاجهم والعناية بهم. وكان من المحال هنا أيضًا تمييز أو اكتشاف مواقع العدو التي تعيق عملية العبور لنهر الموز، لهذا بات الأمل ضعيفًا في متابعة العملية ما لم يتوافر دعم ناري كثيف من المدفعية وأسلحة الدبابات. فتوجهت إلى مقر القيادة العامة للقطاع؛ حيث التقيت بالجنرال فون كلوج قائد الجيش وقائد الفيلق هوت. وبعد مناقشة الموقف، واتخاذ الإجراءات الضرورية، رجعت إلى دينانت مُتبعًا الطريق المجاور لنهر الموز، وقامت طائراتنا خلال ذلك بقصف الأهداف المعادية.

وبدأت نيرات العدو في التزام الصمت تباعًا. لكن مدفعيتنا كانت قد استنزفت ذخائرها، وأصيبت دبابات كثيرة من دباباتنا. وأصيبت الروح المعنوية لقواتنا بالتدهور نتيجة للخسائر الكبيرة في الأرواح، لكن بعض دباباتنا تقدمت إلى نقاط العبور، وأمكن استخدام الزوارق المطاطية التي أخذت تنقل الجنود تباعًا تحت حماية نيران مدفعيتنا ودباباتنا. وتوليتُ قيادة الفوج الثاني من اللواء السابع المشاة ونظمت له عملية العبور لبعض الوقت. حتى إذا ما أخذت الأمور سيرها الطبيعي، انطلقت شمالاً نحو السريَّة التي كانت قد تمكَّنت من العبور في وقت مبكر وظهرت دبابة فرنسية بشكل مباغت، ولما لم يكن لدينا مدافع مضادة للدبابات، فقد أصدرت

الأوامر بفتح نيران الأسلحة الخفيفة كافة، فلاذت الدبابة المعادية بالفرار لمسافة ألف متر، وتبعتها دبابات فرنسية أخرى انسحبت على عجل".

القائد القدوة

كانت قوات التحالف تمطر رومل وقوّاته بوابل من نيران المدفعية؛ لتمنعه من العبور بأي شكل. سرى الخوف في قوات رومل من جرَّاء القصف الكثيف المتلاحق، لكن رومل القائد أراد أن يضرب المثل لجنوده، فنزل إلى النهر بنفسه مع فرق المهندسين والجنود المعاونين. كان يحمل المعدات معهم ويقول: "سأساعدكم بيدي" لم يتمالك الجنود أنفسهم وهم يرون قائدهم يعمل بيده كأي فرد فيهم، سرتْ فيهم روح الشجاعة والتفاني والإخلاص؛ فلم يمر الليل حتى تمت إقامة الجسور، وعبرت فرقة رومل بآلياتها الثقيلة وجميع المعدات والذخائر وعربات الجنود والإمداد.

كان ذلك في الثالث عشر من مايو، وفي اليوم التالي تعرَّض رومل وقواته لهجوم مضاد أصيب فيه وجرح، لكن رومل استمر في تقدمه داخل الأراضي البلجيكية.

رومل في فرنسا

مع بداية شهر يونية سنة ١٩٤٠م بدأ الجيش الألماني في حشد قواته كاملة في الغرب لخوض المرحلة الثانية من الحملة، والتي كانت تهدف إلى إنهاء الحرب في فرنسا. وللوصول إلى هذه النتيجة كان من الضروري قهر الجيش الفرنسي واحتلال فرنسا.

ولكن كيف للجيوش الألمانية أن تجتاح الأراضي الفرنسية وقد استعد الفرنسيون لغزو الألمان منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى؟

لقد كان الجميع يدرك أن الحرب ستقع لا محالة؛ فقام الفرنسيون - وعلى مدى خمسة عشر عامًا - ببناء واحد من أعظم الخطوط الدفاعية على مدى التاريخ من صنع البشر، وكان ذلك هو خط ماجينو.

فبسبب الخوف الفرنسي من الغزو الألماني لأراضيهم قام الفرنسيون ببناء خط دفاعي يمتد من الشمال إلى الجنوب بطول الحدود الفرنسية الألمانية. ويتكون هذا الخط الدفاعي من عدة سهول ذات نقاط تحصينية تربط بينها أنفاق تحت الأرض تمكن المدافعين من صد الهجوم، مع إمكان التحرك الآمن تحت الأرض، ووصول مستمر من الإمدادات والأسلحة والذخائر والجنود. كان خط ماجينو يشبه مدينة كاملة لكنها في معظمها تحت الأرض وفوق الأرض كذلك.

خطة الاجتياح الألماني

يمتد خط الدفاع الفرنسي من الشمال نحو الجنوب بطول الحدود بين فرنسا وألمانيا على النحو التالي:

آبيفيل ← آميانس ← سواسون ← نهر آيسن ← سيدان ← الحدود الألمانية التي تتاخم منطقة الإلزاس واللورين حتى شمال بازل.

قُسمت هذه الجبهة الطويلة بكاملها إلى ثلاثة قطاعات:

١- القطاع الأول يحتله جحفل الجيش (ب) بقيادة فون بوك.

٢- القطاع الثاني يحتله جحفل الجيش (أ) بقيادة فون روندستيدت مع بضعة جيوش، وفيلق جودريان المدرع.

٣- القطاع الثالث يحتله جحفل الجيش (جـ) بقيادة فون ليب وهو في مواجهة خط ماجينو حتى شمال بازل.

لقد تركزت القوة الفرنسية ودفاعاتها على الحدود الفرنسية الألمانية، لكنَّ الفرنسيين رغم خط دفاعهم الرائع وقعوا في الخطأ القاتل الذي جعل بلادهم فريسة سهلة في أيدي قوات الجيش الألماني.

الخطأ القاتل – الأردنيز

ظن الفرنسيون أنهم آمنون خلف خط ماجينو الحصين، لكن القادة الألمان كان لهم رأي آخر.

لم يكن الفرنسيون يخشون جيرانهم الشماليين حيث أراضي بلجيكا، ولوكسمبورج، وهولندا وبحر الشمال.

ولهذا فإنهم لم يهتموا ببناء خط دفاعي على هذه الحدود على غرار خط ماجينو واكتفوا ببضع نقاط حصينة إلى جانب الطبيعة في هذه المناطق، فكان هذا هو الخطأ القاتل الذي أدركه الألمان جيدًا، أو كما يقول المثل العربي: "من مَأْمَنِه يؤتى الحذر".

بين بلجيكا ولوكسمبورج تقع منطقة واسعة تسمى "الأردنيز" تكسوها الوديان والتلال، كما تغطيها غابات كثيفة الأشجار، ولا تمتدُّ خلالها طرق ممهدة؛ فهي منطقة طبيعية بكر.

ونتيجة لهذه التركيبة الطبيعية فقد صرف رئيس أركان الجيش الفرنسي النظر عنها في خططه العسكرية لمواجهة الجيش الألماني والدفاع عن الأراضي الفرنسية، وذلك في أثناء التحضيرات التعبوية بعد غزو الألمان للأراضي البولندية.

وقد ارتأت القيادة الفرنسية أن منطقة الأردنيز منطقة صعبة، كما أن بها حشودًا عسكرية غزيرة وطرقها ضيقة جدًّا شديدة الانحدار، فلا يجب صرف الجهود إليها؛ لأنها تنهك جنود المشاة التقليديين والعربات المسلحة التي تجرها الجياد.

لذا قررت القيادة الفرنسية أن تترك تلك المنطقة للقـوات الألمانيـة الحديثـة وتشكيلات مشاتها والدبابات. وقررت العسكرية الفرنسية توجيه استراتيجيتها نحـو السهول الشمالية لبلجيكا على أنها أفضل منطقة لخوض المعركة الرئيسية، وذلـك على غرار ما حدث سنة ١٩١٤م في الحرب العالمية الأولى.

لكن ما فكر فيه رئيس أركان الجيش الفرنسي كان مخطئًا فيه إلى حد مأساوي؛ لأن الجنرال الألماني "أرش فون مانستين" وجد أن الأردينـز بأشـجارها الكثيفـة والضباب الذي يحيط بها غالبًا يشكل أكبر طبيعة مناسبة للتمويه وإحاطة القطاعات الألمانية المتحركة بساتر من السريَّة.

إضافة إلى أن مقاومة الزحف داخل تلك الأراضي تبدو في غاية الصعوبة، لـذا فإن مجرد دخول جحافل البانزر الألماني فيها يعتبر دخولاً في فرنسا من البوابـة الخلفية، والذي – نتيجة سوء تقدير العسكرية الفرنسية – لا توجد قـوات فرنـسية كافية تحمي هذا القطاع المهم من الأراضي الفرنسية، وهو إذا ما حـدث – وقـد حدث بالفعل – يخل التوازن، وبالتالي فإن قوات فرنسا وحلفاءها تدخل في معركة غير متكافئة، وهي في ذات الوقت بعيدة عن خط مـاجينو والقـوات الرئيـسية الموجودة خلفه.

أُعجب هتلر بالخُطة وأمر بتنفيذها، فبدأ الزحف الألماني عبر الأردنيز وتم تقسيم الحدود إلى ثلاثة قطاعات يختصُّ بكل قطاع أحد جحافل الجيش الألماني.

وفي العاشر من مايو سنة ١٩٤٠م شنت قوات التحالف هجومًا مضادًّا للزحف الألماني، لكن مُني جيش التحالف بالفشل، وانسحب جيشان فرنسيان مهزومان مع قوات الحملة البريطانية إلى ما وراء الخطوط لالتقاط الأنفاس ولتجر القوات الألمانية بعيدًا عن قواعد تموينها الرئيسية، وهي تحاول استغلال التفوق العددي لصالح قوات التحالف ضد الزحف الألماني.

زحفت على وديان الأردنيز حشود ألمانية كثيفة تتكون من ٤٦ فرقة منها سبع فرق مدرعة تشكِّل رأس جسر لعبور الخطوط الفرنسية الأمامية. ومن خلف هذا الجيش الألماني ٢٧ فرقة من قوات الاحتياط المكونة من المشاة المحترفين تحت قيادة الجنرال فون روندستيدت.

وفي نهاية زحف الجيش الألماني خلال الأردنيز واجه الألمان جيش الحلفاء المكون من اثنتي عشرة فرقة مشاة ضعيفة الكفاءة، وأربع فرق فرسان فرنسية.

أحس الجيش الألماني أنه يقوم بنزهة بين أحضان الطبيعة؛ فقد وصل الجيش الألماني العامل تحت قيادة فون روندستيدت إلى نهاية الأردنيز، ولم يجد أي قوة تواجهه.

توقفت القوات الألمانية قليلاً للإعداد والتجهيز، ثم واصلت تقدُّمها إلى ساحل القنال الإنجليزي موجهة ضربات قوية ساحقة إلى مدن كاليه ودنكرك.

أما جيش الحلفاء فقد كان في حالة لا يحسد عليها من الارتباك والرعب؛ فقد تدفقت القوات الألمانية داخل هولندا وبلجيكا باستخدام قوات المظليِّين لمهاجمة الخطوط الخلفية للحلفاء.

وفي الوقت نفسه كان الطيران الألماني يفرض سطوته على الأجواء ويحمي قوات الزحف الألمانية.

هربت ملكة هولندا وحكومتها إلى لندن في ١٣ مايو سنة ١٩٤٠م واستـــسلمت القوات الهولندية، ثم سقطت بلجيكا، وواصل جودريان القائد الألماني زحفه المدرع، وعبر الخطوط الفرنسية في سيدان حتى وصل إلى أميَنز في ١٩ مايو وأصبح ظهر فرنسا مكشوفاً للقوات الألمانية.

الثعلب روميل

وصل روميل مع قوات الزحف إلى أعالي خط ماجينو وكان روميل يعلم مدى قوة هذا الخط الدفاعي وصعوبة الدخول عبره، لكنه وضع خطة تمكنه من اختراق هذا الخط وإسقاطه.

وضع روميل خطته على أن تتقدم قواته حتى مدينة سيفري على الحدود الفرنسية البلجيكية، مع تقدُّم فرق الاستطلاع في الوقت نفسه، على أن تكـــون مهـــام فـــرق الاستطلاع الرئيسية اكتشاف خط ماجينو وامتداداتـــه، وتحديـــد نقـــاط التحـــصين الرئيسية.

ثم تقوم فرق المدفعية باحتلال نقاط ارتكاز حول مدينة سيفري.

بعد ذلك يتقدم لواء البانزر المدرع بعد التمهيد النيراني والدعم الذي تقدمه فرق المدفعية؛ لعدم إعطاء دفاعات العدو الفرصة للرد بكثافة.

ثم يقوم لواء المشاة المحمول المدعم بالدبابات والأسلحة المتوسطة بالاســـتيلاء على التحصينات وإزالة جميع الموانع والسواتر.

إذا تم هذا الجزء من الخطة بنجاح يتم تطوير الاختراق للوصول إلى أفيـــسنيس المحصنة، على أن تقوم بقية القوات بمتابعة التحرك خلف المدرعات والمجموعات المتقدمة الرئيسية العاملة معها.

انطلقت طلائع فرقة رومل بسرعة حتى وصلت إلى سيفري دون أن تلقى أي مقاومة، وقامت فرق المدفعية (المضادة للدروع والطائرات) باحتلال أماكن القصف، ثم قامت بإطلاق نيرانها بكثافة على أماكن تجمُّع الفرق الفرنسية؛ بغية معرفة ردود أفعال الجيش الفرنسي واستكشاف مواقع مدفعيته.

لكن المفاجأة أنه لم تُطلق قذيفة واحدة على القوات الألمانية.

أمر رومل لواء البانزر ٢٥ المدرع بالتقدم السريع حتى وصلوا إلى كلير فليت يتقدمهم رومل على إحدى الدبابات، ممسكًا بالمنظار المقرِّب لمراقبة تحركات الفرنسيين.

وردت معلومات إلى رومل من عناصر الاستطلاع بقيام الجيش الفرنسي بزرع مئات الألغام المضادة للمركبات والأفراد على الطريق.

تصرف رومل بسرعة كعادته؛ فأمر اللواء المدرع بالتقدم بعيدًا عن الطريق بحوالي خمسة كيلومترات، على أن يسبق اللواء عناصر فرق المهندسين لإزالة الموانع الطبيعية وتمهيد الطريق.

تقدم رومل - وإن كان ببطء قليلاً - حتى فوجئ بوجود سلسلة تحصينات فرنسية إلى جانب مجموعات فرنسية تقوم بزرع الألغام. ولم تلبث قوات رومل أن اشتبكت مع القوات الفرنسية المتخصصة في قتال عنيف. كانت الخسائر كبيرة، لكن رومل ظل على تقدُّمه متابعًا تحركات جميع قواته، موجهًا كل قطاع منها إلى العمل المنوط به.

وأخيرًا تمكن رومل من تجاوز خط ماجينو وتجاوز خطوطه الدفاعية المختلفة.

ثم انطلق روميل وقواته سريعًا نحو بلدة أفيسنيس، التي احتلت شوارعها إحـــدى كتائب الدبابات الفرنسية أرادت أن تكون معاركها حرب شوارع لاصطياد القـــوات الألمانية.

علم رومل نيَّة الكتيبة الفرنسية، فأعد خطة لاقتحام المدينة من أكثر من محور؛ لتشتيت انتباه الفرنسيين وإيقاع الرعب في نفوسهم ونفوس الأهالي. وكان لرومل ما أراد، لكن القتال كان في غاية الضراوة وتعرضت القـــوات الألمانيـــة المهاجِمـــة للخسائر واستمر القتال طوال اليوم وحتى صباح اليوم التالي.

تمكن رومل من تصفية الكتيبة الفرنسية، واستقر الهدوء في المدينة. ثم حـــاول الاتصال بالقيادة لإعلامهم بالموقف، لكن الاتصالات اللاسلكيَّة كانت مقطوعة بسبب اشتعال القتال في جميع الجبهات. لم يرد رومل الانتظـــار خاصـــة بعـــد هزيمـــة الفرنسيين في أفيسنيس، فخشي رومل أن يسعى الفرنسيون إلى هدم الجسور علـــى نهر السامبر في محاولة لتعطيل تقدم الألمان.

لم ينتظر رومل الأوامر وأمر قواته بالتقدم السريع لاستغلال الموقف لصالحه.

يروي رومل هذا الموقف في مذاكرته قائلاً:

"انطلقت في اتجاه مدينة لاندرسي في الساعة الرابعة صباحًا، ولـــيس معـــي إلا فوج من دبابات البانزر، والفوج السابع لراكبي الدراجات النارية. غير أني كنـــت على يقين أن بقيَّة وحدات الفرقة ستنطلق متسارعة خلف القوة المتقدمة؛ وذلك حتى تشترك في الهجوم. وكان تعطيل الشبكة اللاسلكية قد جعلني في حالة من الجهـــل بموقف بقية الألوية، فكانت الأوامر والتعليمات تضيع في الهواء.

ولما لم أكن قد استلمت أي إمدادات خلال الليل، فكان لزامًا عليَّ الاقتصاد فـــي استهلاك الذخائر.

وهكذا اندفعنا نحو الغرب ونحن نجر المدافع الصامتة.

أشرقت شمس اليوم الجديد - يوم ١٧ مايو - وصدمتنا على الفور رؤية أرتال اللاجئين ومجموعات الجنود الفرنسيين الذين كانوا قد استعدوا للانسحاب. وكان الطريق وأطرافه قد ضج بخليط من المدافع والدبابات والمركبات العسكرية من جميع الأنواع، لم نكن في حاجة لإطلاق النيران. فكل ما أردناه هو الابتعاد عن الطريق المزدحم، والسير إلى جانبه عبر الحقول.

أصابت المفاجأة القوات الفرنسية، فوضعت أسلحتها أرضًا وسارت على الطريق شرقًا. لم يحاول الفرنسيون مقاومة تقدمنا، فعملنا على إعطاب المركبات الفرنسية التي صادفناها سليمة.

وكانت القوات الفرنسية تستسلم لنا كلَّما لاقيناها وبأعداد كبيرة ضباطًا وجنودًا.

وبعد حين وصلنا لاندرسي ووجدنا الفوضى والاضطراب في أنحائها. لقد كانت الدبابات والمدافع وسائر المركبات في كل مكان وعلى كل طريق. وهكذا عبرنا نهر السامبر إلى الضفة الأخرى دون مقاومة، وهناك عثرنا على ثكنة عسكرية قد تجمعت فيها قوات فرنسية متشرذمة، فدخل ضابط إلى ساحتها وأمر ضباطها بجمع الجنود وقيادتهم نحو الشرق".

واصل رومل تقدمه مجتاحًا بلدتي كاتو، وبوموري وقد أوقع في الأسر القوات الفرنسية المقاتلة في البلدتين كلتيهما دون قتال. وقد قطع في سيره أكثر من ثمانية كيلو مترات في يوم ونصف تقريبًا، وهو معدل غير معتاد للقوات المقاتلة في الحروب.

فشلت قوات الحلفاء في وقف رومل وقواته الزاحفة، وكذلك فشلت فـــي وقـــف زحف قوات القائد الفذ جودريان الذي كان يقاتل بمحاذاة رومل بمهارة شديدة جعلته هو الآخر أحد أشهر قادة الحرب العالمية الثانية.

التاريخ يعيد نفسه

في الثامن عشر من مايو سنة ١٩٤٠م تلقى رومل أمرًا من القيادة بمتابعة التقدم. كانت قواته قد استراحت بضع ساعات، أعادت فيها تزويد معداتها بالوقود وتزويد القوات بالمؤن والذخائر.

استغلت القوات الفرنسية توقف قوات رومل في تلك الليلة واستغلت ظلام الليل، فقامت بالانتشار في غابة بوموري بأعداد كبيرة مـــن جنـــود المـــشاة والـــدبابات والمركبات المدرعة تساندها فرق المدفعية.

لم تكن الساعة الثامنة صباحًا تدق حتى وجد رومل نفسه في أتون المعركة؛ فقد وجد قوات البانزر الألماني المدرعة قد اشتبكت في معركة ضارية مـــع القـــوات الفرنسية، التي نجحت في السيطرة على الطرق المحيطة بأرض المعركة. كانـــت القوات الفرنسية لديها ميزة تتفوق بها على القوات الألمانية – سلاح المـــدرعات – لقد كانت الدروع الفرنسية تصل سماكتها إلى ٦٠ ملم، مما يعطيها مقـــدرة كبيـــرة على تحمل ضربات المدفعية وضربات الدبابات الأخرى. وفي الوقت ذاته كانـــت المدرعات الألمانية – رغم تفوقها في السرعة – فإن سماكة دروعها لا تتجـــاوز ٣٠ملم، مما جعلها أكثر تأثرًا وإصابة من الهجوم الفرنسي.

طال أمد المعركة فأراد رومل القيام بهوايته المفضلة وهي الالتفاف حول القوات المعادية لمباغتتها وهو العنصر المفضل لدى رومل في الحـــروب. قـــاد رومـــل مجموعة مدرعة وسار إلى الجنوب عبر الغابة، جنوب شـــرق مدينـــة لاندرســـي بحوالي ثلاثة أميال.

فوجئ رومل بقوات فرنسية شمال المدينة الصغيرة تحول بينه وبين التقدم والالتفاف. تعامل رومل وقواته مع القوات المعادية حتى تم لرومل ما أراد، وقضى على المقاومة الفرنسية. تحرك رومل تاركًا جزءًا من قواته للتزوُّد بالمؤن والذخائر والوقود، وسار مع قوات قليلة لتطهير الطريق إلى بوموري.

وجد رومل أن فرق المدفعية الفرنسية - المتفوقة عدديًا - قد كونت حائطًا ناريًا أمام القوات الألمانية المقدمة، فكان الوضع صعبًا أمام القوات المهاجمة.

أصدر رومل الأمر إلى قواته - قليلة العدد - بالتقدم نحو كامبري، ولجأ رومل إلى الخديعة فتقدمت دبابات اللواء المدرع ٢٥ بتشكيل مستعرض منتشر يثير الغبار في الجو، مع كم كبير من عربات نقل الجنود وبقية المركبات، مما أوهم الفرنسيين أن الألمان يقومون بهجوم كاسح بعدد ضخم من الدبابات والمدرعات، فأصاب الرعب قلب المدافعين، وفرُّوا من المدينة تاركين إياها لقمة سهلة في أفواه الجيش الألماني الغازي، فدخلت قوات رومل مدينة كامبري بكل سهولة(١).

الطريق إلى آراس

بعد احتلال رومل مدينة كامبر توقف لتنظيم القوات وإعادة التموين، ولكي يأخذ الجنود بعض الراحة بعد هذه المعارك الطاحنة. وقرر أن تستأنف قواته المسير إلى مدينة آراس التي تقع شمال باريس بما يقرب من مائة وسبعين كيلومترًا.

---

(١) هي الخدعة نفسها التي لجأ إليها أعظم قادة الحروب الإسلامية؛ الصحابي الجليل خالد بن الوليد ﷺ في حرب مؤتة وحرب اليرموك، حينما أوهم الروم بورود المدد الضخم من قلب الجزيرة العربية، وكانوا في الحقيقة فرقة من الخيالة والمشاة يثيرون التراب خلف الجيش لخديعة الروم مما أوقع في قلوبهم الرعب.

ورغم الأوامر التي صدرت إلى روميل من قيادة الجيش بتأجيل الزحف بسبب ما أصاب القوات من خسائر وإجهاد المقاتلين بصورة كبيرة، فإن روميل أصر علـى استكمال الزحف وقال لقائد الجيش: "لم يتحرك الرجال منذ عـشرين سـاعة، وإن هجومًا ليليًا على ضوء القمر سيقلل بكل تأكيد من حجم الخسائر".

قاد روميل الهجوم وكان في المقدمة في فجر العشرين من مايو. وما إن اقتربت قوات المقدمة من مدينة آراس حتى واجهته مجموعة من النيران الفرنـسية التـي صبت جحيم نيرانها على مدرعات روميل.

كان الموقف صعبًا، فلم تكتمل تشكيلات القوات المختلفة لفرقة روميل، وتـأخر لواء المشاة المحمول نتيجة الاشتباكات فلم يلحق بفرقة المدرعات.

أمر روميل قواته بصب نيرانها على الدفاعات الفرنـسية جنـوب آراس، لكـن الموقف ازداد صعوبة؛ فقد وصلت إلى آراس مجموعة مـن الفـرق الإنجليزيـة والفرنسية للدفاع عن المدينة والتصدي لزحف روميل وقواته.

كانت قوات الحلفاء – الإنجليزية الفرنسية – تتفوق عددًا وتسليحًا على قـوات روميل. لكن روميل عمل على هزيمة أعدائه بكل وسيلة، فاستعمل خبراته القتاليـة وقدراته التخطيطية العالية على تخطي صعاب المواجهة والتفوُّق العددي لأعدائه.

استمرت الحرب في غرب أوربا حتى استطاعت القوات الألمانية السيطرة على غرب أوربا بالكامل، ولكن الحرب كانت قد انفتحت في جهات أخرى مـن سـاحة المعمورة؛ فقد اندلعت الحرب على الجبهة الروسية واشتعلت نيرانها فـي شـمال إفريقيا فكان على هتلر أن يختار واحدًا من أفضل قواده لقيادة القوات الألمانية على الساحة الإفريقية؛ فلم يجد خيرًا من روميل لهذه المهمة.

الحرب في شمال أفريقيا

إلى القاهرة على حصان أبيض

كانت ألمانيا قد بدأت الحرب في خريف ١٩٣٩م فضمت النمسا إلى أراضيها بعد أن ادعى هتلر أنه يفعل ذلك ليضم شمل الأسرة، ولكن الجيوش الألمانية ما لبثت أن اجتاحت بولندا وبلجيكا وفرنسا، لتتفرغ الجيوش الألمانية لحربها ضد بريطانيا العظمى. لكن القتال اشتعل بصورة أشد وأعنف على المسرح الإفريقي الذي يمتد من مصر وحتى المغرب العربي.

حلم الدوتشي موسوليني



هتلر وموسوليني وإعلان التحالف بينهما

بعد أن أعلن الدوتشي موسوليني تحالفه مع ألمانيا ضد قوات الحلفاء، بادر بإعلانه المهم أنه يعد العدة لغزو مصر، وأنه قد جهز حصانًا أبيض ليدخل به القاهرة غازيًا فاتحًا ليستعيد ممتلكات الإمبراطورية الرومانية القديمة في الشرق العربي انطلاقًا من الأراضي الليبية التي احتلها الإيطاليّون من قبل.

القوات الإيطالية على حدود مصر

أرسلت إيطاليا – كما أعلن موسوليني – فيما بين عامي ١٩٣٦، ١٩٤٠ إلى الأراضي الليبية جيشًا يقترب عدده من ثلاثمائة ألف مقاتل ما بين ضابط وجندي.

كانت المهمة الأولى للقوات الإيطالية حينما قدمت إلى الأراضي الليبيـــة هـــي القضاء على ثورة المسلمين العرب، وخاصة الثوار الذين يقودهم المجاهد العظـــيم عمر المختار.

كان عمر المختار يقود بضع مئات من المجاهدين بأسلحة بدائية، لكـــن إيمـــان هؤلاء المجاهدين ورغبتهم في الشهادة مكنتهم أن يصمدوا سنين عدة في مواجهـــة جيش إيطالي يزيد عن ربع مليون مقاتل بدباباتهم ومدافعهم وطائراتهم.

كان الإيطاليون يرتكبون أقذر المجازر ضد الليبيين العُزّل من السلاح؛ رغبـــة منهم أن تخمد ثورة الليبيين إلى الأبد، وتصبح ليبيا مقاطعة إيطالية على الـــساحل الإفريقي.

الاتجاه شرقًا

لقد كان الجيش الإيطالي في ليبيا ضخم العدد بلا شك، لكنه مع ذلك كان ســـيئ التسليح بالمقارنة بالأسلحة المتطورة للجيش البريطاني - قليل العـــدد - الموجـــود على الأراضي المصرية؛ فلقد كانت معظم أسلحة الجيش الإيطالي من نواتج الحرب العالمية الأولى، فكانت دروعها خفيفة سهلة الاختراق، وكانت مـــدفعيتها قـــصيرة المدى.

كانت معظم قوات الإيطاليين من فرق المشاة ذات التقليد القديم الذي يعتمد علـــى النقاط الثابتة في دفاعاته وهو ما لا يناسب حروب الصحاري العربية التي تعتمد على سرعة الحركة في الانقضاض والهروب، أو ما أطلق عليه العرب الكر والفر.

الدخول إلى مصر

في السابع من سبتمبر سنة ١٩٤٠م أصدر موسوليني إلى "رودولف جرازياني" الحاكم العام لليبيا والقائد العام للقوات الإيطالية، أمرًا أن يبدأ هجومه على مـــصر

خلال يومين، وبالفعل ففي صبيحة يوم ١٣ سبتمبر تحرك الجيش الإيطالي نحو مصر متجهًا إلى مرسى مطروح.

الموقف البريطاني

تلقى الميجور جنرال أوكونور – قائد المنطقة الجنوبية لفلسطين – أمرًا بالتوجه إلى مصر لقيادة القوات البريطانية المتمركزة في الصحراء الغربية لمصر.

التقى أوكونور بالقائد العام للقوات البريطانية في مصر الليفتانت جنرال "ويلسون".

أصدر ويلسون إلى أوكونور أمرًا مباشرًا بالتوجُّه إلى مرسى مطروح لقيادة القوات البريطانية ضد الغزو الإيطالي.

لقد كان البريطانيون يخشون استيلاء الإيطاليين على مصر، ثم تزحف قوات المحور إلى منابع البترول في الخليج العربي وإيران، والذي إذا ما حدث فسوف تنهار القوات البريطانية وحليفاتها في غضون أسابيع قليلة؛ فالبترول – كما يحدث في الصراع الحالي في الشرق الأوسط – هو وقود جميع الآليات العسكرية للجيوش الحديثة.

الهجوم الإيطالي

بدأ الجيش الإيطالي هجومه بقصف عنيف للمواقع البريطانية الخالية على الحدود المصرية – بعد أن أخلتها القوات البريطانية المتحسبة للهجوم الإيطالي – وقاد الجنرال جرازياني جيشه المكوَّن من أربع فرق وتشكيلات ضخمة من مختلف المركبات المدرعة، وعبر الحدود المصرية بسرعة تقترب من الثلاثين كيلومترًا بمختلف التشكيلات. وفي الوقت نفسه كان الجيش البريطاني ينسحب بهدوء أمام الزحف الإيطالي.

الخطأ الإيطالي القاتل

في اليوم الرابع للزحف الإيطالي وصل الإيطاليون إلى سيدي براني على مسافة ٦٠ ميلاً من الحدود المصرية وعلى بعد ٨٠ ميلاً من تجمع الجيش البريطاني في مرسى مطروح.

ارتكب جرازياني – قائد القوات الإيطالية – الخطأ القاتل الذي تسبب في خسارة الإيطاليين للحرب.

فبعد أن وصل الجيش الإيطالي إلى سيدي براني أمر جرازياني بتوقف الزحف وإقامة ثكنات ومخيمات للجيش على شكل نصف دائرة.

ظل الجيش الإيطالي بلا حراك أسبوعًا أمر خلالها جرازيـــاني بمـــد الطـــرق وأنابيب المياه ومخازن الأسلحة والإمدادات، كما قام – ويا للعجب – بإقامة العديد من النصب التذكارية احتفالاً بتقدمه في الأراضي المصرية، وإحياءً لذكرى الفتوح والانتصارات التي لم يحققها بعد.

كان جيش جرازياني يتفوق على جيش أوكونور بنسبة عدديـــة كبيـــرة، إلا أن أوكونور استغل خفة الحركة والتحرك السريع والانقضاض المباغت في تقـــويض الفارق العددي.

الهجوم البريطاني

في ليل التاسع من ديسمبر سنة ١٩٤٠م، وبينما الجيش الإيطـــالي فـــي سـباته وغفلته فتحت المدفعية البريطانية نيرانها، وألقى سلاح الجو البريطاني بكـــل ثقلـــه وحممه على الإيطاليين، فيما قامت البحرية البريطانية العتيدة بصب جام غـــضبها ونيرانها على الجيش الإيطالي وكل الطريق الساحلي، وكل ما يحيط بمدينة ســـيدي براني.

واستغلت الفرق البريطانية ضوء القمر وشنت هجومها الكاسح على معسكرات الجيش الإيطالي. واستمر الهجوم عدة أيام توالت فيه الخسائر الإيطالية واستسلام عشرات الآلاف من الجنود إلى الجيش البريطاني.

كان الجيش البريطاني مكونًا من فرق عديدة من الهنود والبولنديين والفرنسيين والأستراليين والمصريين.

توالت المعارك بين الجيشين وتوالت الخسائر الإيطالية (١) ولم ينتصف شهر يناير سنة ١٩٤١م حتى وقف الجنرال أوكونور على صحراء مصر الغربية يشاهد الآليات الإيطالية المحترقة، وطوابير الأسرى الإيطاليين يساقون كالأغنام إلى معسكرات الأسرى داخل مصر.

حقق الإنجليز نصرًا ساحقًا وقضوا على الجيش العاشر الإيطالي، ووقع في الأسر ١٣٠ ألف جندي واستولوا على ٤٠٠ دبابة، و٢٩٠ مدفعًا وتقدم الإنجليز حتى بني غازي وطبرق. وضاعت أحلام موسوليني الذي أعد حصانًا أبيض لدخول القاهرة دخول الفاتحين العظام.

روميل ... خطة إنقاذ على جناح السرعة

في الوقت الذي سحقت فيه القوات الإيطالية في شمال إفريقيا كان روميل قد وصل في الأول من فبراير سنة ١٩٤١م إلى منزله ليستريح مع عائلته، والابتعاد قليلاً عن أزيز الطائرات وقصف المدافع وصراع الجنود.

---

(١) يصف الجنرال كريدج هزيمة الجيش الإيطالي فيقول: "كان على الطريق من سيدي براني حتى ما بعد مطروح حطام جيش، مئات المركبات والدبابات إما مدمرة متروكة أو مقلوبة، مدافع الميدان متروكة وسط أكوام من الدانات الفارغة تصوِّب إلى العدم، الساحل كله مغطًى بالأسلحة كالأصداف على شاطئ البحر، وقد رأيت منظرًا مسليًا للغاية: حافلة (أتوبيس) قد امتلأ بالنساء الإيطاليات، وقد جلسن في وسط أرض المعركة يضعن مساحيق التجميل ويجهزن الشاي، بينما كانت تحرسهن راهبة في زيها الأبيض!".

لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فلم يكد يمضي يومان من إجازته حتـــى فوجئ بزيارة من المدير العام لمقر القيادة الألمانية، والذي طلب منه سرعة التوجه إلى مقر القيادة العامة لمقابلة القائد العام للجيوش الألمانية الفريق فون براوشـــتش، ومن ثم مقابلة الفوهرر هتلر.

وفي السادس من فبراير سنة ١٩٤١م قابل رومل القائد العام، الذي أوكل إليـــه مهمة إصلاح الموقف المتدهور في شمال إفريقيا الذي تسبب فيه الإيطاليون ووقعوا فيه.

أبلغ رومل أنه ستكون تحت قيادته في إفريقيا فرقة مدرعة وفرقة مشاة آلية، إلى جانب القوات الإيطالية المتخلفة التي نجت من المذبحة البريطانية، مع تعهـــد مـــن الحكومة الإيطالية بحماية سواحل الخليج سرت وحماية طرابلس، ووضع القـــوات الإيطالية المتوافرة تحت قيادة رومل.

وفي مساء اليوم ذاته قابل رومل الفوهرد هتلر وشرح له هتلر ســـبب إجمـــاع القيادة الألمانية على اختيار رومل لمقدرته الفذة الفائقة في ســـرعة التكيـــف مـــع مختلف أراضي العمليات العسكرية كما أطلعه على الخطة التي اتبعهـــا الجنـــرال الإنجليزي أوكونور في دحر القوات الإيطالية في شمال إفريقيا.

ويصف رومل مجمل اللقاء في رسالته إلى زوجته إذ يقول:

"**عزيزتي الغالية لو** ٦ فبراير ١٩٤١

وصلت إلى مقر القيادة في ستاتسن الساعة ١٢,٤٥ وتقدمت إلى القائد العام، ثم قابلني الفوهرر وجرت الأحداث بسرعة، ولحقت بي أمتعتي إلى هنا، ولكنـــي لـــم أتمكن أن آخذ منها إلا ما كنت في حاجة ماسة إليه. ولست في حاجة إلى أن أقول لك إن فكري مشوش جدًّا، فهناك الكثير مما ينبغي عمله، وقد تمر أشـــهر قبـــل أن

تدور العجلة كما ينبغي لها. وها هي إجازتنا قد انقطعت من جديد. لا يصيبنك الحزن، فهذه هي الأحوال، وواجبي الجديد على درجة عالية من الأهمية".

وفي الحادي عشر من فبراير وصل رومل إلى روما، وعرض عليه قائد القوات الخاصة الإيطالية خطة الدفاع عن خليج سرت والساحل الليبي، وحماية عملية نقل القوات الألمانية إلى ليبيا.

وفي هذه الأثناء استولى الإنجليز على بنغازي، ودمروا آخر الفرق المدرعة الإيطالية المتمركزة جنوب بنغازي، وأصبح الطريق ممهدًا لفتح طرابلس أمام الإنجليز.

أدرك رومل خطورة الموقف؛ فإنه إذا استولى الإنجليز على طرابلس وبقية الساحل الليبي فسوف يصبح من المستحيل نقل القوات الألمانية إلى الأراضي الليبية.

ولذلك طلب رومل من الجنرال الإيطالي جِسْلَر قصف مدينة بنغازي وتدمير القوات البريطانية المتمركزة بها؛ لمنع تقدمهم نحو طرابلس. عارض جِسْلَر قصف بنغازي؛ لأن المستوطنين الإيطاليين - بما فيهم عدد كبير من ضباط الجيش - قد ابتنوا العديد من القصور والمنازل الفاخرة، وهم يعارضون قصف المدينة بشدة.

أبى رومل إلا تنفيذ مطلبه الاستراتيجي بقصف بنغازي. وبالفعل لم تمضِ ساعات من الليل حتى حصل رومل على موافقة القادة الألمان وهتلر شخصيًّا على ضرب قوافل الإمداد البريطانية المتجهة إلى بنغازي.

وبالفعل قامت القوات الجوية الألمانية بقصف قوافل الإمداد البريطاني لعدة أيام متوالية.

وفي الوقت ذاته كانت طائرات الإمداد الألمانية تحمل ما تحتاج إليه القوات الجوية الألمانية داخل الأراضي الليبية.

وصل روميل إلى مطار كاسل بينتو جنوب طرابلس. وفور وصول روميل إلى ليبيا تواردت إليه الأنباء بتوالي الانسحاب المهين وغير المنظم للقوات الإيطالية أمام الزحف البريطاني محاولين الوصول إلى طرابلس، بل ما فعله كثير من الإيطاليين ضباطًا ومدنيين بالهرب من ليبيا والعودة إلى إيطاليا.

قابل روميل الجنرال غاريبالدي قائد القوات الإيطالية المعين حديثًا. تباحث القائد الحالة المزرية التي وصلت إليها القوات الإيطالية في ليبيا.



روميل يستعرض الجبهة الليبية

خطة روميل للدفاع عن طرابلس

وضع روميل خطة محكمة للدفاع عن الجبهة الإيطالية الألمانية. ومن إجمالي بنود هذه الخطة:

- إقامة موقع دفاعي لحماية خليج سرت.
- استخدام القوات الجوية – إيطالية وألمانية – في جنوب الجيش البريطاني بصورة مكثفة؛ لجعل تقدمهم أمرًا عسيرًا مكلفًا.
- عدم السماح بتراجع أي جندي وتركه لموقعه الدفاعي أمام الزحف البريطاني.

واجه روميل ضعفًا وتخاذلاً من الجنرال غاريبالدي الذي يتحجج بضعف القوات الإيطالية القادرة على الدفاع.

أصر رومل على موقفه وخطته الدفاعية، وتلقى بالفعل دعمًا من رئيس هيئة الأركان الإيطالي، وكذلك دعم القوات الجوية الألمانية التي لم تتوقف عن طلعاتها ليلاً ونهارًا حتى استطاعت إيقاف تقدم القوات البريطانية.

وفي الرابع عشر من فبراير بدأت طلائع القوات الألمانية في التمركز على الأراضي الليبية.

وكتب رومل إلى زوجته قائلاً:

"**عزيزتي الغالية لو** ١٧ فبراير سنة ١٩٤١م

تسير الأمور بشكل رائع بالنسبة إليَّ وإلى مَنْ معي تحت هذه السماء. ووجدت طريقة ناجحة جدًّا للتفاهم مع القيادة الإيطالية، وليس بالمستطاع توقع تعاون أفضل. وقد وصلت قواتي إلى خطوط الجبهة، التي اندفعت مسافة ٥٠٠ كم تقريبًا نحو الشرق. وما يهمني الآن هو وصول بقية القوات".

الاستعداد للمواجهة

ظل رومل على عادته في تفقد جبهة القتال لمعرفة استخدام إمكاناته بأفضل صورة ممكنة، واستخدام الطبيعة الجغرافية ضد العدو وفي صالح قواته.

فكان رومل يراقب انتظام قوافل الإمداد ونقل الجنود بالسبل كافة، حتى إنهم استخدموا الزوارق الصغيرة في نقل الإمدادات التموينية لتخفيف الحِمل على مركبات النقل العسكري؛ لعدم وجود خطوط سكك حديدية.

الحرب خدعة

لما كان رومل يحتاج إلى المزيد من الوقت لاستكمال عملية نقل القوات والإمدادات، فقد خشي أن يستغل البريطانيون الموقف ويشنون هجومًا شاملاً. لذلك لجأ رومل إلى الحيلة والخداع شأنه دائمًا في الحروب التي خاضها، فأمر بصنع

عدد كبير من هياكل الدبابات الخشبية المـ ـة في مصنع جنوب طرابلس، ثم ركبت هذه الهياكل فوق سيارات فولكس فاجن – السيارة الشعبية الأولى فـــي ألمانيـــا – لعلمه بتجول طائرات الاستطلاع البريطانية لاستكشاف قواعـــد الجـــيش الألمـــاني والإيطالي وقواتهما.

نجحت خطة رومل الخداعية فتوقف تفكير البريطـــانيين وتوقفـــت تحركـــاتهم للزحف غربًا؛ وذلك لإعادة تقييم الموقف على ضوء المعلومات – المضللة – التي حصلت عليها فرق الاستطلاع البريطانية.

وإلى جانب ذلك استمر رومل في توجيه الإغارات الجوية والبرية الخاطفة على مختلف الوحدات البريطانية، مما أدى إلى تدمير بعض المركبات وإيقـــاع بعـــض الجنود والضباط البريطانيين في الأسر، وأجبر البريطانيين على الحذر من التقـــدم غربًا، ونشر قواتهم في مختلف القطاعات، خاصة بعد أن زرع الألمان الكثير مـــن الممرات والأراضي بالألغام المضادَّة للأفراد والآليات المختلفة.

وقد كتب رومل إلى زوجته قائلاً:

"**عزيزتي الغالية لو** ٥ مارس سنة ١٩٤١م

عدت من جولتي بالطائرة والتي استمرت طوال يومين، وشملت خطوط الجبهة وقد تقدمت مسافة ٧٢٠ كيلو مترًا إلى الشرق. وتتطور الأحداث بشكل رائع، وقـــد يكون من المحال ابتعادي عن هنا في الوقت الحاضر، لما يقع على عـــاتقي مـــن المسؤولية؛ فكثير من الأشياء باتت مرتبطة بعملي ... وأرجو أن تكوني قد تسلمت بعض رسائلي. إن قواتي تسير على الطرق، والسرعة هنا هي أفضل مـــا يمكـــن الاعتماد عليه. المناخ يلائمني تمامًا، ولقد امتد نومي هـــذه الليلـــة حتـــى الـــساعة السادسة صباحًا.

وقد عُرض اليوم فيلم (انتصار في الغرب) وهو يصور اجتياح فرنسا سنة ١٩٤٠م. وحضر العرض عدد كبير من المدعوين ومعهم زوجاتهم. وأعلنت بعد انتهاء العرض أننا في سبيلنا لتحقيق نصر في إفريقيا. وكانت عملياتنا في المقطع بهدف حمل البريطانيين على مزيد من الانسحاب نحو الشرق. وأفترض أنهم يعملون حاليًّا على تجميع قواتهم الرئيسية حول أجدابية، وعلى امتداد الساحل حتى درنة".

بعد ذلك قام رومل بنقل مقر قيادته إلى "سرت"؛ ليكون أكثر قربًا من جبهة القتال. على أنه في التاسع عشر من مارس سنة ١٩٤١م توجه رومل إلى ألمانيا؛ لتقديم التقارير إلى القيادة العامة بالظروف والأوضاع الراهنة، وتلقي الأوامر الجديدة.

لكن المقابلات أصابت رومل بالإحباط، فلم يجد دعمًا لزيادة قواته - عددًا وعتادًا - لمواجهة الموقف الصعب وقلة جيشه، بل زاد الأمر كذلك بطلب القيادة منه استعادة "برقة" كاملة وتدمير القوات البريطانية بإمكاناته المتاحة حاليًّا.

الهدف الأول .. "مرسى البريقة"

أصبح هدف رومل الأول هو الهجوم على مرسى البريقة؛ ليصبح الهجوم ميسرًا على القوات البريطانية المتجمعة حول أجدابية.

كانت القوات البريطانية قد استعدت للهجوم الألماني الإيطالي عليها في مرسى البريقة، فقام البريطانيون بحفر الخنادق وإقامة النقاط الحصينة، وإقامة الأسلاك الشائكة، وزرع حقول الألغام.

لم يكن أمام رومل - وكما نعرفه - إلا أن يستغل إمكاناته المتاحة - رغم ضعفها - حتى لا يعطي البريطانيين فرصة تعزيز وجودهم العسكري وزيادة

قواتهم وزيادة تحصين مواقعهم الدفاعية، مفضلاً ذلك على انتظار الدعم الآتي من ألمانيا.

وفي ٣١ مارس دارت معارك طاحنة بين العدوين، لكن النصر في نهاية المطاف لم يفارق روميل حينما انتهى نهار ذلك اليوم.

غنم روميل في تلك المعركة خمسين دبابة ماركة "بيرن"، وثلاثين عربة آلية مجنزرة. وواصل روميل هجومه الزاحف؛ فحاصر أجدابية واستولى عليها بعد معركة مدمرة.

نتيجة لهذه المعارك دب الرعب في قلوب البريطانيين، وقدروا عدد الألمان تقديرات مضاعفة مما جعلهم يعيدون حساباتهم على التقديرات الجديدة، ولذلك قرر البريطانيون الجلاء عن بنغازي بصورة عاجلة، وبالفعل قام الألمان في ليل الثالث من إبريل بدخول بنغازي وسط ترحيب المستوطنين.

يقول روميل في رسالته إلى زوجته:

"**عزيزتي الغالية لو** ٣ إبريل سنة ١٩٤١م

نتابع الهجوم منذ يوم ٣١ مارس، ونحقق انتصارات مدوية، وأواجه معارضة قوية وسط القيادة الإيطالية في طرابلس وروما، وربما في برلين أيضًا. وقد قبلت احتمال خطر المجازفة في تجاوز الأوامر والتعليمات؛ لأن الظروف تبدو لي مناسبة.

وقريبًا ستصدر تصريحات بأنه كان عملاً جيدًا. وقد يقول كل واحد إنه كان سيفعل ما فعلت لو كان مكاني. لقد حققنا هدفنا الأول، والذي كان من المفروض ألا نحققه قبل منتصف شهر مايو أو نهايته. وفقد البريطانيون توازنهم فشرعوا

بالانسحاب، وخيرًا ما فعلوا. خسائرنا زهيدة، ومن المحال تقدير ما حصلنا عليه من الغنائم، وستدركين أنني لا أنام أبدًا من الفرح!".

ظل رومل على طريقته المعهودة في القيادة، بتفقد كل شيء ومتابعة كل عمله لقواته ووحداته. ولهذا، فكثيرًا ما واجه رومل العديد من المخاطر التي كادت أن تودي بحياته أكثر من مرة، بل كادت أن توقع به في أسر البريطانيين.

لكن أعماله تلك جعلت اسمه مثار الخوف والإعجاب من الجميع، ولهذا صدر الأمر التالي من القائد العام للجيوش البريطانية وهو: أمر قتال يومي صادر عن القائد العام للجيوش البريطانية بالقاهرة إلى جميع الضباط العظام والقادة في القيادة العامة للشرق الأوسط.

"إن هناك خطرًا حقيقيًا في أن يصبح اسم رومل بعبعًا ترتعب منه قواتنا، كما أصبح اسمه موضوع مناقشات طويلة لا تنتهي. إن رومل مهما كان قديرًا أو كفؤًا فإنه ليس إنسانًا خارقًا للطبيعة، وحتى لو كان كذلك فإنه من غير المرغوب فيه أن تصفه قواتنا بتلك الصفات.

لذلك أرجو أن تبذلوا قصارى جهدكم لمحو هذه الفكرة عن رومل؛ لأنه لا يزيد في الواقع على أن يكون قائدًا ألمانيًا عاديًا. لذا يجب ملاحظة عدم ذكر اسمه عندما نشير إلى العدو في الصحراء الغربية، فنقول: الألمان، أو قوات المحور، أو العدو، ولا نقول: رومل. وإنني أطلب منكم التأكد من تنفيذ هذا الأمر، ومن صدور التعليمات اللازمة إلى القادة الأصاغر بذلك، علمًا بأن لهذا الأمر أهمية سيكولوجية عظمى".

القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط

فيلد مارشال سير كلود أوكنيلك

١٩٤٢/٥/١

طبرق ... العند والعند المضاد

في إبريل ١٩٤١، وبعد أن قام روميل على رأس فرقتيه المدرعتين ١٥، ٢١ بانزر بالتوجه نحو مصر، لتسقط بني غازي والجبل الأخضر في يده، ركّز ثعلب الصحراء جهوده نحو الاستيلاء على قلعة طبرق التي أصبحت كالشوكة في ظهر قواته التي كانت تواصل تقدُّمها المظفر في اتجاه مصر.

طبرق ... حياة أو موت

في ٩ إبريل سنة ١٩٤١م، رأى الجنرال ويفل أن أفضل طريقة لإيقاف زحف روميل نحو مصر تتمثل في الاحتفاظ بطبرق. وهكذا أُصدرت التعليمات إلى الجنرال هورسهيد - قائد الحامية الأسترالي - بالقتال حتى الموت، وعدم التخلي عن طبرق. ولما كان روميل يقدر قيمة وجود هذه القلعة في طريق مواصلاته وخطورتها عليه، فقد هاجمها في ١٦، ١٧ إبريل دون جدوى، بينما كانت فرقه المدرعة قد وصلت إلى الحدود المصرية يوم ٢٨ إبريل لتسقط كلٌّ من السلوم وكابتزو في يده.

البريطانيون في عيني روميل

ويكتب روميل في ١٤ إبريل ١٩٤١ رسالة إلى زوجته يقول لها فيها:

"عزيزتي الغالية لو

إن البريطانيين عنيدون للغاية، وبحوزتهم كميات ضخمة من المدفعية. وفي الساعة التاسعة صباحًا وصلت إلى رئاسة الفيلق، فوجدت تقريرًا يتضمن أن الهجوم على طبرق قد توقف؛ لأن منطقة اختراق الفرقة الخامسة الخفيفة كانت على جبهة ضيقة للغاية في خطوط الإنجليز. وبعد فترة قصيرة وصل إلى رئاستي الجنرال

ستر ايخ والعقيد أولبريخ، الذي قرر أنه وصل بالفعل بمدرعاته إلى نقطة تبعد ميلين ونصف جنوبي المدينة، ولكنه تعرَّض لنيران مميتة من المدفعية البريطانية، مما اضطره إلى الانسحاب بعد أن أصيبت نسبة كبيرة من مشاته. وتحت وطأة العناد البريطاني الشديد، لم يكن أمامي سوى التخلي عن الهجوم على طبرق ومتابعة التقدم نحو مصر".

وبينما كان الجنرال ويفل وسط المعارك الخاسرة المتلاحقة والأخطار الجديدة، ظل تشرشل يضغط عليه للهجوم على قوات رومل المتقدمة. بدأ سيل برقيات رئيس الحكومة ينهال على ويفل أنه لا بُدَّ من إحراز نصر سريع في الصحراء الغربية لتدمير جيش رومل.



ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا

وهكذا، وبسبب تدخل تشرشل والموقف السياسي أصبح كل شيء معدًّا لهزيمة بريطانية؛ حيث اضطر ويفل إلى القيام بهجوم فاشل منذ البداية في ١٥ يونية سنة ١٩٤١م على القوات الألمانية. وكانت مواجهة غير متكافئة بين القوات البريطانية المفتقرة إلى الحملة الميكانيكية والأفراد المدربين، وتتميز بسوء التنظيم والنقص في قطع الغيار، إزاء قوات رومل المدربة جيدًا على حرب الصحراء بجانب تفوقها في التسليح، وبخاصة بالنسبة إلى الدبابات والمدافع المضادة للدبابات من عيار ٨٨ ملم الشهيرة.

ويفل ... نهاية قائد

غضب تشرشل غضبًا شديدًا نتيجة فشل الهجوم البريطاني فيما عُرف بمعركــة باتل أكس. لم يحاول رئيس الوزراء أن يعترف بأنه هو بذاته كان العامل الرئيسي لفشلها، مرة بعد أن قام بتفتيت جيش أوكونور المدرب وإرسال معظمه إلى اليونان، ومرة ثانية بسبب تسرعه في إصدار تعليمات الدخول في معركة عاجلة مع جــيش رومل قبل أن تتوافر عناصر النجاح لمثل هذه المعركة. وهكذا لم يقــم تــشرشل بإلقاء اللوم على نفسه، ولكنه صبه على الجنرال ويفل.

ففي ٢١ يونية سنة ١٩٤١م أمر تشرشل ويفل بالتخلي عن القيادة للسير كلــود أوكنيلك، الذي كان يشغل منصب القائد العام في الهند. وهكذا كــان ويفــل يمثــل صورة كبش الفداء لأخطاء تشرشل السياسية بأوضح معانيها.

جنرال جديد للجيش البريطاني

قرر الجنرال أوكنيلك – قائد عام القوات البريطانية الجديد – تعين الجنرال آلان كننجهام قائدًا للجيش، بعد أن فقد الحلفاء في شمال إفريقيــا كــلاً مــن الجنــرالين أوكونور، ونيم. ويكتب أوكنيلك عن سبب اختياره لكننجهام:

"لقد طلبت تعيين كننجهام؛ لأنني أعجبت بقيادته السريعة الجريئة في الحبــشة، وبالنظر إلى ميله الواضح إلى العمليات الخفيفة الحركة؛ حيث كنت قد قررت عدم الالتزام بالقتال في مجرد الشريط الساحلي للصحراء الغربية، بــل الانتقــال إلــى العمليات المتحركة في عمق العدو وأجنابه وتدمير طرق مواصلاته".

الجنرال الجديد في المحنة

وهكذا تولى الجنرال كننجهام قيادة الجيش البريطاني على الحدود المصرية، ذلك الجيش الذي رأينا كيف تسبَّبت تعليمات تشرشل بمساعدة جبهة اليونان في تمزيــق أوصاله وبعثرة أفضل تشكيلاته المدربة على حرب الصحراء، والــذي لــم يعــد يواجه– اعتبارًا منذ الآن – القوات الإيطالية التي أطاح بها ســلفه أوكونــور فــي

معركة سيدي براني الفاصلة، بل يواجه فيلق البانزر المدرع الألماني تحت قيادة القائد ذائع الصيت رومل.

وعندما بدأ كننجهام يستوعب ضخامة المسؤوليات التي كان عليه مواجهتها، حتى شعر بثقل العبء الملقى على كاهله، وفي ذلك يكتب في مذكراته:

"لقد وصلت إلى مصر لقيادة جيش الصحراء في أغسطس سنة ١٩٤١م، في الوقت الذي أُخطرت فيه بأن هجومًا لا بُدَّ لي من القيام به في نوفمبر، لم يكن لديَّ سوى شهرين فحسب لإعادة تشكيل الجيش وتدريبه، في الوقت الذي كانت فيه بعض فرقه غير موجودة إلا على الورق فقط. وبخلاف الفرقة الرابعة الهندية والفرقة السابعة المدرعة، كانت جميع القوات غير مدربة على الإطلاق، كان الوقت قصيرًا.. وكانت هذه هي مشكلتي الرئيسية".

بالإضافة إلى مشكلة ضيق الوقت الكبرى لدى قائد الجيش الثامن الجديد، كانت هناك مشكلة أخرى، فلم يكن يعلم غير القليل عن المدرعات وأسلوب استخدامها، وعدم قيادته مدرعة بمفرده من قبل. وها هو الآن مطالب بقيادة معركة مدرعات سريعة الخطوات، بالإضافة إلى التوسع السريع في الجيش ضد قوات رومل المدرعة، والتي ظلت تواصل تدريبها واستعداداتها في ميادين التدريب الصحراوية منذ سنة ١٩٣٦م قبل بداية الحرب. وقد وجد نفسه في مركز دقيق ليتعلم حرب المدرعات، في الوقت الذي كان مسؤولاً فيه عن إصدار الأوامر لمعلميه من خبراء المدرعات وقادتها، الذين أصبحوا الآن تحت قيادته. والنتيجة المنطقية لذلك هي ضعف سلطاته واهتزاز شخصيته وإصابته بالاضطرابات العصبية.

أصدقاء أم أعداء؟

ومع ضغط رومل المتواصل على الجنرال كننجهام لم يعد قادرًا على تحمُّل إدارة معركة دبابات كبرى وقيادتها بمهارة. وقد استمر ذلك الضغط نحو عشرة

أسابيع من العمل الشاق والانفعال النفسي. ونتيجة لذلك ضـــعفت حالـــة الجنـــرال البريطاني الصحية والعصبية، وفقد قدرته على اتخاذ القرارات والأوامـــر، حتـــى وصل في ليلة الهجوم الكبير ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤١م إلى درجة اعتبار القـــرارات والواجبات العادية مشكلات كبرى. إلا أن كننجهام لم يستسلم لهواجسه؛ فقـــد كـــان مسؤولاً عن قيادة الجيش الثامن، وعن عدم السماح للمرض بالفتك به ليلة المعركة. وعندما كان الجيش الثامن يتقدم نحو الحدود الليبية صباح الثامن عشر من نوفمبر من سنة ١٩٤١م كان كننجهام في معركة أخرى مع نفسه.

لا بُدَّ من طبرق وإن طال المدى

توجه رومل بقواته نحو بير حكيم، وكانت تتولى الدفاع عنها فرقة فرنسية صلبة وعنيدة، غير أن صلابتها لم تستمر لأكثر من عشرة أيام أمام ضغط رومل المستمر وضرباته المتلاحقة.

استولى رومل على بير حكيم، ووجه قواته نحو الطريـــق الـــساحلي؛ ليقطـــع الطريق على القوات البريطانية التي تفر من أمامه مذعورة مرعوبة، وجـــاء الآن دور طبرق التي صمدت طويلاً أمام القوات الألمانية.

أراد رومل أن يستولي على طبرق بأي وسيلة؛ حتى لا تصبح شوكة في ظهره حينما يتوجه نحو مصر بقواته. لكنه علم أنه في حاجة إلى خطة ماكرة وعبقريـــة؛ ليستطيع بها دخول طبرق. ولم يكن الثعلب العجوز في حاجة إلى المزيد من المكر والعبقرية، فهما متوافران لديه بشدة.

وضع رومل خطته المحكمة الخادعة التي خدع بها جميع القيادات العسكرية في جيوش الحلفاء. أراد رومل أن يهاجم طبرق بحشوده العسكرية من إحدى الجهات؛ حتى يجذب الدفاعات البريطانية لتتمركز نحو جهة الهجوم الألماني، وهو ما سيفعله أي قائد عسكري.

لكن الخدعة التي عملها رومل هو أنه وضع بعض الحشود على الغرب، ووضع حشدًا آخر نحو الشرق بعيدًا عن طبرق، وكأنها لن تشارك في القتال، وهو يعلم أن فرق الاستطلاع البريطانية سوف تكشف تلك الحشود. وفي الوقت الذي سيهاجم بقواته من الغرب، تندفع القوات من الجهة الشرقية بكل سرعة ومباغتة.

اكتشف البريطانيون الحشود الشرقية، واكتشفوا خدعة رومل - أو هكذا ظنوا - وهنأ بعضهم البعض على اكتشاف هذه الخدعة من الثعلب العجوز.

لكن ما لم يعمله أحد ولم يدر ببال أي قائد عسكري، أن رومل قد جهز نفسه ليدخل من جنوب طبرق بقوات أخرى مختلفة لم تلاحظها عيون الاستطلاع البريطانية.

كانت خدعة رومل في غاية التعقيد. وفي السادس عشر من يونية بدأ الهجوم من الغرب، وتركز الدفاع البريطاني غربًا، واشتعلت الجبهة الغربية، لكن الهجوم المباغت جاء من جهة الشرق بصورة مباغتة - وإن كانت متوقعة - ولم يحسب البريطانيون أنها سوف تكون بهذه السرعة.



لوحة تصور قيادة رومل للهجوم الشامل على طبرق

ولكن في التاسع عشر من يونية كانت خدعة رومل الكبرى قد آتت أُكُلَها، فانقض جيش الجنوب وتقدم سلاح المهندسين؛ لردم الخنادق وإزالة الألغام وتمهيد الطرق.

دخلت القوات من الجنوب حتى قلب المدينة فيما المعارك دائرة في شرق المدينة وغربها. واندفعت القوات الألمانية، فاستولت على الميناء لتفر السفن البريطانية تجرجر أذيال الخوف والهزيمة، وسقطت المدينة ليرسل رومل إلى قواته تهنئة جميلة:

"لقد توجتم المعركة الكبرى باجتياحكم السريع لطبرق؛ فسقط في أيديكم ٤٥ ألف أسير. ولقد وجهتم للعدو ضربة ماحقة، سحقتم جيشه وزهرة شبابه، وخيرة تشكيلاته، وكتلة دروعه، تهاني القلبية لكم وإلى الأمام".

وفي اليوم التالي رُقِّي رومل إلى رتبة الفيلد مارشال وكان عمره ٤٩ عامًا.

على أبواب مصر المحروسة

بعد المعارك الطاحنة التي خاضها البريطانيون والألمان حول طبرق، قرر رومل أن يقوم بمغامرة جريئة غير معتادة.

فقد أراد رومل أن يتقدم في الصحراء للوصول إلى الخطوط الخلفية للقوات البريطانية؛ لكي يدمر المناطق الإدارية، وليبث حالة من الرعب بين البريطانيين.



رومل فوق سيارة

ففي صباح الرابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤١م قفز رومل إلى سيارة القيادة وصاح في الليفتنات كولونيل وستفال – أركان حرب العمليات – قائلاً: "وستفال .. سأتوجه إلى سيدي عمر؛ لأقود الفرقة ٢١ بانزر إلى ممر حلفاوية".

لم يستمع رومل لاعتراضات وستفال المحذرة من التقدم وقال: "سأقوم بهجوم مفاجئ على الفرقة الثانية النيوزيلندية، والفرقة الرابعة الهندية في منطقة السلوم قبل أن تتمكن قوات العدو المنسحبة من الانضمام إليها.

ثم أعبر الحدود المصرية وأهاجم مادالينا، ثم أدمر القيادة العامة البريطانية وقواعد التموين الضخمة للجيش الثامن، وبذلك نكون قد عزلنا الجيش البريطاني بأسره عن قواعد تموينه؛ ثم نقضي عليه...".

دفع رومل بالفرقة ٢١ بانزر إلى سيدي سليمان؛ لعزل جبهة حلفاوية عن الشرق، وقاد بنفسه الفرقة ١٥ بانزر خلال الأسلاك الشائكة في منطقة قصر العبد على الحدود المصرية، وأصدر رومل أوامره بالهجوم.

كانت قوات رومل في غاية الإنهاك والتعب، كما أن الفرقة الهندية كانت قد أتمت حفر خنادقها حول سيدي عمر.

فشل الهجوم الألماني، وكانت الخسائر في الجانبين فادحة لكن الهجوم الألماني المباغت – ووقوع الآلاف من الأسرى لدى القوات الألمانية – سبَّب حالة من الرعب للقيادة البريطانية وجنودها.

الثعلب في العرين البريطاني

في طريق العودة إلى الفرقة ١٥ بانزر تعطَّلت سيارة رومل، وكان الليل دامسًا والبرد يضرب العظام. وفجأة لاحت سيارة مسرعة فإذا بها الجنرال بايرلين. ركب أربعة من قادة الحرب الألمان الأربعة الكبار في الفيلق الإفريقي: رومل، وجوس، وكرويل، وبايرلين.

فجأة مرت مدرعة من الفرقة ٤ الهندية، لكن السيارة التي تضم القادة الألمان لم تثر فضول القوات الهندية فتجاوزتها دون اهتمام. ظلت سيارة رومل التي تحمل هيئة أركان حربه تسير حتى وصلت إلى الأسلاك الشائكة البريطانية دون أن تجد منفذًا، ويضرب الحظ ضربته فيمر رومل بسيارته على رتل سيارات نقل بريطانية، لكن رومل أسرع بسياراته متجاوزًا بعض الكثبان الرملية ليجد نفسه – ومعه بقية القادة الألمان – داخل مستشفى ميدان نيوزيلندي.

تماسك رومل برباطة جأشه، وأمر سائقه وأركان جيشه بالدوران حول الخيمة وانتظاره في الجانب الآخر، واتجه رومل بجرأة غريبة إلى داخل المستشفى متخذاً هيئة المنتصر المسيطر على الساحة التي سقطت في يديه.

نادى رومل قائد المستشفى – البريطاني – والأطباء وأمرهم بالاصطفاف، وسألهم بلهجة الواثق إن كان ينقصهم أية أدوية، ثم وعدهم بإرسالها في الحال حالما ينظم المنطقة التي استولى عليها. وعندما غادر المستشفى أدى له الأطباء البريطانيون التحية العسكرية فردها عليهم ثم انصرف. ولم تمض عشر دقائق حتى أدرك النيوزلنديون والإنجليز الخدعة الهائلة التي خدعهم بها رومل، وفر من بين أيديهم دون أن يطرف له جفن.

وانتشرت قصة رومل وخديعته الكبرى للبريطانيين انتشار قصص ألف ليلة وليلة.

فلتغرق مصر من أجل عيون الإنجليز!

صار رومل وقواته على بعد ١٦٠ كيلو مترًا غرب الإسكندرية قريبًا من العلمين.

انتشرت الشائعات في مصر حينئذ أن القيادة البريطانية العسكرية قد طالبت الحكومة المصرية بإغراق الدلتا ومديرية البحيرة؛ كي تتحول الأراضي إلى بحر من الطين اللزج ليعوق تقدم جيش رومل ومركباته.

بل حتى في قصر ملك مصر – الملك فاروق – كان من المعتقد لدى الجميع أن الإنجليز ينوون تدمير خزان أسوان، والقناطر الخيرية لإغراق أراضي الدلتا لمنع تقدم الألمان.

وذكر البعض* أن الإنجليز ينوون إحراق آبار البترول المصرية في حال دخول الألمان مصر، بل قد وضع البريطانيون الخطط لإغلاق القناة وسدها كي لا يستفيد منها الألمان.

---

* مذكرات في السياسة المصرية ج٢ للدكتور محمد حسنين هيكل مطبعة مصر – القاهرة.

تشرشل ... فلتقاتلوا كما لو أن إنجلترا هي التي تتعرض للغزو!!

في الوقت الذي كان النيل يداعب خيال رومل، كان الإنجليز في مصر قد استعدوا للفرار إذا اشتد الجد ودخل الألمان إلى مصر، مما حدا برئيس الوزراء البريطاني أن يوجه رسالة إلى الجنرال أوكنيلك يقول فيها:

"إنني آمل أن هذه المحنة سوف تؤدي بكل فرد يرتدي الزي العسكري في الدلتا، وبكل ما تحت أيدينا من البشر، إلى الارتفاع إلى أعلى مستوى قتالي. إن لديك أكثر من ٧٠ ألف من الرجال في الشرق الأوسط، وعلى كل منهم أن يقاتل ليموت في سبيل تحقيق النصر على العدو. إنك في الموقف نفسه تمامًا كما لو أن إنجلترا هي التي تتعرض للغزو. وعليه، يجب أن تسود لديكم الروح المعنوية القوية والفعالة نفسها".

ونستون تشرشل

٢٥ يونية سنة ١٩٤٢م

وفي الوقت الذي انسحبت فيه القوات البريطانية المهزومة إلى منطقة العلمين، كتب تشرشل إلى مستر كيزي – وزير الدولة البريطاني في مصر – قائلاً:

"في الوقت الذي يخوض فيه أوكنيلك معركته في ساحة القتال، عليك بالتعبئة الكاملة للمعركة في حزم بكل فرد لديك في الخطوط الخلفية بالدلتا ... عليكم بالدفاع حتى الموت ... فلا جلاء عام ولا اعتبار للسلامة؛ فمصر ينبغي بل يجب الاحتفاظ بها بأي ثمن".

العلمين ... بداية النهاية

ابتعد رومل بقواته داخل مصر بعيدًا عن قواعد الإمداد والتموين، وخسر الكثير من الجنود والأسلحة رغم الانتصارات المتوالية، فلم يبق من قوة الفيلق الإفريقي إلا حوالي سبعة عشر ألف مقاتل من أصل أربعة وثلاثين ألف مقاتل.

كان جنود رومل في حالة إنهاك وإعياء وملل، وتدهورت صحة رومل بشدة بسبب المرض والإرهاق المستمر.

طلب رومل إلى قيادته إرسال قائد آخر بدلا منه، لكن هتلر رفض بشدة ووعده بالإمدادات - التي لم تصل - وطلب منه الصمود حتى الموت.

كانت القوات البريطانية أفضل حالاً وأكثر استعدادًا، وتأتيها المؤن والذخائر بلا حساب من داخل مصر - عكس موقف رومل - واستعد الإنجليز للمعركة الفاصلة.

وجاء الجنرال مونتجمري ليتولى القيادة بدلاً من الفيلد مارشال أوكنيلك ليتولى تنفيذ الخطط التي وضعها أوكنيلك.

أحبط مونتجمري هجمات رومل المباغتة، واتخذ زمام المبادرة في الهجوم على القوات الألمانية خائرة القوى قليلة العدد.

كان لدى رومل ٢٠ دبابة، وللبريطانيين ٢٠٠ دبابة تدعمهم الطائرات والسفن الحربية، فلم يجد رومل حلًّا أمامه غير الانسحاب بعيدًا من مصر ثم الانسحاب من برقة وما حولها.

كان الموقف في شمال إفريقيا في غير صالح الألمان رغم انتصاراتهم هنا وهناك؛ فلا عدد ولا عتاد ولا وقود للمعارك.

رومل والعودة إلى أوربا

أُمر رومل بالعودة إلى أوربا لتولِّي قيادة الجيش (ب) في فرنسا، إلى جانب الإشراف العام على الإجراءات الدفاعية الألمانية لجبهة الغرب بكاملها التي تمتد من الشمال - الأرضي الدنماركية - وحتى السواحل الإسبانية والفرنسية على ساحل البحر المتوسط.

كانت رحى الحرب قد دارت على الألمان لتطحنهم كما طحنوا هم بها العالم من قبل. رأى رومل - الخبير العسكري - ما سوف تسير إليه الأمور بسبب الغباء القيادي والتسلط القبيح بلا هدف.

وكتب في إحدى رسائله:

"عزيزتي الغالية لو ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٣م

إنني اليوم على الطريق نحو أقصى نقطة في الدفاع الساحلي للشمال ... تخوض قواتنا معارك ضارية من الشرق إلى الجنوب. قد يكون من العبث أن أصف لك مشاعري وأنا أرى الموقف القادم من بعيد. علمت أن أمر التعبئة للمستقبل قد شمل الفتيان من عمر أربعة عشر عامًا، وسيتم صهرهم في الخدمة أو في العمل أو في الدفاع بصرف النظر عن نعومة أظفارهم وصغر سنهم".

سعى رومل بكثير من الخطط لحماية الدفاعات الألمانية، لكن خططه لم تلق آذانًا صاغية لدى هتلر الذي كانت قراراته تتخبط في كل اتجاه بلا هدف.

كان رومل يدرك النهاية المحتومة إذا لم تأخذ القيادة بآرائه، وهو ما حدث.

يقول رومل في رسالته إلى الجنرال جودل:

".. على الرغم مما يمتلكه العدو من تفوق جوي فإنه باستطاعتنا تدمير العدو في الأيام الأولى التي تعقب الإنزال، وذلك إذا نجحنا في زج القسم الأكبر من قواتنا المتحركة خلال الساعات الأولى التالية للإنزال ... وهذا ما يبرهن على ضرورة بناء المواقع بالأسمنت المسلح؛ لحماية المقاتلين والمدافع الميدانية وبطاريات المدفعية المضادة للطائرات .... إننا نستعد حاليًّا لخوض أكثر المعارك الحاسمة أهمية في هذه الحرب، وإننا نقرر بذلك مصير الشعب الألماني. وهناك شكٌّ كبير في إحراز النصر إذا لم نضع القوات المدافعة كافة تحت قيادة واحدة..".

ظل رومل في غير يأس يطالب القيادة بسماع اقتراحاته وتنفيذها شعورًا منه بالمسؤولية تجاه الشعب الألماني، لكن مطالبه ذهبت أدراج الرياح وأنزل الحلفاء قواتهم في نورماندي. وبدأت معركة التحرير الكبرى.

وكتب رومل إلى زوجته في ١٨ يونية سنة ١٩٤٤م متأسفاً حزينًا:

"... ولو أنهم استمعوا لنا وأخذوا برأينا لقدر لنا أن نقوم بهجوم مضاد ... ولأمكن لنا صد الهجوم وإحباطه...".

استمرت المعارك، وظل رومل في الجبهة يقاتل ويرسل التقارير إلى القيادة محذرًا ومنبهًا.

نهاية مأساوية

ولكن النهاية المأساوية كانت هي نهاية المطاف لهذا القائد الفذ الفريد؛ فقد اتهمه هتلر بالخيانة وبالضلوع في عملية تآمر ضده. ونظرًا لخدماته السابقة فقد تفــضل عليه هتلر بمنحه فرصة الموت بالسم.

فبينما كان رومل في منزله إذ دخل عليه ضابطان وحادثاه، ثم خرج رومل إلى زوجته وابنه وقال لابنه على انفراد: "إنني سأموت بعد ربع ساعة ... فقد اتهمنـــي هتلر بالخيانة العظمى، ولكن نظرًا لخدماتي في إفريقيا فقد تفضل بمنحي فرصـــة الموت بالسم، وقد حمل الضابطان السم معهما, والذي يُعطي تأثيره خـــلال ثـــلاث ثوانٍ فقط. إما إذا رفضت فإن العقوبة ستمتد إليك وإلى أمك، وإلى أعضاء قيـــادتي كافة، وقد وعدتهم بألا تبوح مما قلته لك، وإلا فإنهم سيتحللون من وعـــدهم بعـــدم الإساءة إليكم".

خرج رومل مع الضابطين وما هي إلا دقائق حتى رن جرس الهاتف: لقد مات رومل.

أرسل هتلر إلى زوجة رومل البرقية التالية:

"أرجوكم قبول أعمق التعازي بمناسبة الخسارة الفادحة التي نزلت بكم، وسيبقى اسم المارشال رومل خالدًا ومقترنًا بالمعارك العظيمة التـــي قادهـــا فـــي إفريقيـــا الشمالية".

أدولف هتلر

وهكذا أُسدل الستار على أحد أهم القادة العسكريين على مر التاريخ الإنـــساني، والذي ما زالت عملياته العسكرية محل تقدير وبحث ودراسة في الكثير من الكليات والمعاهد العسكرية في أنحاء المعمورة.

أهم مراجع الكتاب

أولاً: الكتب:

١- **مذكرات رومل:** ب.هـ. ليدل هارت، جمع وإعداد تعريب وتعليق فتحي عبد الله النمر. مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦.

٢- **أسرار الحرب العالمية الثانية:** تأليف اللواء كونثر بلومنتريت – ترجمة اللواء الركن محمود شيث خطاب. منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ط ثانية ١٩٦٦.

٣- **رومل:** تأليف بسام العسيلي. دار النفائس – بيروت ١٩٨٨.

٤- **مقتطفات من تاريخ العالم:** جمال الكاشف. مكتبة الأسرة – سلسلة الأعمال الخاصة.

٥- **إلى الأمام رومل:** محمد فيصل عبد المنعم. مطبوعات الشعب ١٩٧٦.

ثانياً: مواقع الإنترنت:

1- www.aawsat.com.
2- www.arabic.peopledaily.com.
3- www.albayan.co.ae.
4- www.almanara.org.
5- www.asharaqalawsat.com.
6- www.hmc.org.qa.
7- www.membres_lycos.fr.
8- www.nadi.abdu.net.
9- www.sudaneseonline.com.
10- www.telskup.com.

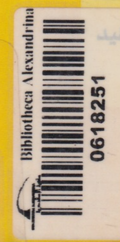
الفهرس

إيروين روميل

Erwin Rommel

روميل ذلك الاسم الذي لمع في عالم الحروب طويلاً، وما زالت معاركه وخططه العسكريَّة مثارَ بحثٍ ودراسةٍ في المعاهد والكليات العسكرية على مستوى العالم.

كما أنَّ حياته الشخصية، ومذكراته البديعة، ورسائله التي كان يكتبها إلى زوجته - لا تزال نبعًا غنيًا ينهل منه المؤرخون على اختلاف أنواعهم، وروميل - شأن الكثير من القادة التاريخيين - يحمل تاريخُه العديدَ من الملامح الإنسانية والنفسية التي يجدر بنا التوقُّف عندها للتأمل والبحث، وفي هذا الكتاب نستعرض حياة روميل؛ حتى يتعرف عليه الذين سمعوا به فقط ولم يعرفوا الكثير عن حياته، كما نقدمه إلى الجيل الناشئ الذي لم يسمع به مطلقًا، ولا يعرف عنه أيَّ شيءٍ، لعلَّ أن يكون بين صفحات الكتاب ما يستفيد منه قارئه فيضيف إليه الكثير من خبرات الحياة.







www.daralfarouk.com.eg



